ثنائيات العشق

محبون خلدهم الأدب والتاريخ

ثنائيات العشق

محبون خلدهم الأدب والتاريخ

نرمين سعد الدين

تصميم الغلاف: أحمد الصبّاغ

المراجعة اللغوية: سارة سرحان

رقم الإيداع: 2017/5430

I.S.B.N:978- 977- 85342- 4-9

الطبعة الأولى 2017م

الإدارة: 17 ش عزت باشا المطرية، القاهرة.

المدير العام: آية سعد الدين

هاتف: 01099387500 - 01147633268

E – mail:zeinpublish2017@gmail.com
Facebook: Zein Publish

جميع الحقوق محفوظة©

نرمين سعد الدين

ثنائيات العشق

محبون خلدهم الأدب والتاريخ

المقدمة

كشفت لنا مي زيادة في شعلتها الزرقاء تفاصيل قصة حبها لجبران خليل جبران، مي زيادة؛ تلك الأديبة اللبنانيَّة التي سكنت أرض مصر وعشقت أحد كتَّاب المهجر في أقصى بقاع الأرض، أرادت مي الأديبة أن تخلِّد ذكرى حبِّها الفريد لجبران في كتابٍ أدبيٍّ رائعٍ نشرت فيه كل رسائلهما لبعضهما البعض، والتي حوت كل معاني الأدب والتراكيب الأدبية الرائعة والمعاني السامية.

لم تكن مي أول من خلَّد ذكر صاحبه وقصة حبه في الأدب أو بسبب أنهم يقرضون الأدب سواء كان شعرًا أو نثرًا، مثل الكثير من شعراء الجاهلية والدولة الأموية في الشام والأندلس أو حتى خارج حدود بلاد العرب كتشايكوفسكي الذي وصلت لنا أخبار عشقه للسيدة ناجيلدا عبر رسائله، وحملت لنا الأيام أخبار العشاق من خلال كتاباتهم أو من خلال اهتمام كتاب الأدب والمسرح بتخليد تلك القصص في أعمال أدبية؛ سواء تجسيد فعلي كمسرحية مجنون ليلى لأحمد شوقي، ومسرحية هنري الثامن للكاتب الإنجليزي وليام شكسبير، أو مستوحاة من قصة واقعية كروميو وجولييت لنفس الكاتب، أو بنشر بعضهم لمذكراته بشكلٍ أدبيٍّ راقٍ كمذكرات الملكة فيكتوريا.

وهكذا لعب الأدب دورًا أساسيًّا في تخليد ثنائيات العشق حتى صار تاريخًا يحفظه الكثير منا. ولقد اخترت في هذا الكتاب مجموعة من قصص العشاق الذين تواترت أخبارهم إلينا بشكل أساسيٍّ معتمد على الأدب، سواء لأنهم شعراء وأدباء خطُّوا سيرهم بين سطور قصائدهم، أو المنقول أو الروايات الرومانسية التي حوت قصصًا مستوحاة من التاريخ وظروف العصر حتى ذاع صيتها وظن الجميع أنها حدثت بالفعل كقصة جين إير للكاتبة برونتي.

واعتمدت في استقاء المادة العلمية لهذا الكتاب على مصادر السير الذاتية سواء العربية أو الأجنبية أو أخبار النساء والعشاق؛ كأخبار

النساء لابن الجوزي، وكتاب أخبار العشاق والمتيمون لابن نعيم، كذلك اعتمدت على مجموعة من المقالات أو مواقع الترجمات كالمكتبة الشاملة والوقفية والمكتبة العربية، وأبحاث قامت على دراسة كتابات أو رسائل هؤلاء العشاق، كالدراسة المترجمة عن إلوايز مثلًا، أو مذكرات للشخصيات ذاتها نشرت مترجمة كمذكرات الملكة فيكتوريا، والروايات والمسرحيات الأصلية كروميو وجولييت وكليوباترا ومارك أنطونيو، وإيضاح إذا ما كان هناك اختلاف بين القصة التاريخية والنص الأدبي.

ولكن يبقى لنا هنا وقفة، فهناك سؤال محير شغل عقلي كثيرًا، ولم أجد له إجابة، ربما يكون لديكم أنتم الإجابة، وربما لا، ولكن يبقى السؤال هو: هل ساق لنا القدر كل تلك السير والأدبيات عن هؤلاء العشاق ليحمل لنا الحب والأمل، أم ليحمل لنا اليأس والألم؟!

يحمل الأمل في أن الحب في الأرض منذ خلق الله آدم وزوجه، وباقٍ بقاء سير هؤلاء المحبين الذين عاش معظمهم يطوي قلبه على حبيبه وضحى من أجله، أم يحمل لنا اليأس والألم من قصصهم التي كان الفشل حليف معظمها بسبب تدخل الأهل والتمسك بعادات خرقاء بالية.

ولكن يبدو أن سيرهم لم ولن تحمل لنا الإجابة، وسنظل عالقين بين الأمل والألم اللذين يحملان نفس الأحرف، ولكنهما يحملان معنيين مختلفين تمام الاختلاف.

ولكن دعونا من البحث عن إجابة الآن، ولتستمتعوا بما حواه هذا الكتاب من حكايات أدبية لشخصيات حقيقية، كان الحب والأدب هو الرابط الأساسي بينهم جميعًا، وأتمنى أن يكون الله قد وفقني في الاختيار.

د/نرمين سعد الدين

القاهرة : 10 نوفمبر 2014

ثنائيات.. العرب

سلي يا عبلة الجبلينِ عنَّا

وما لاقتْ بنو الأعجام منَّا

أَبَدْنَا جَمْعَهُمْ لما أَتوْنا

تموجُ مواكبٌ إنسًا وجنا

وراموا أكلنا من غير جوعٍ

فأشبعناهُمُ ضربًا وطعنا

ضربناهم ببيضٍ مرهفاتٍ

تَقُدُّ جُسُومَهُمْ ظهْرًا وَبَطْنا

وفرَّقنا المواكبَ عن نساءٍ

يزدْنَ على نساءِ الأَرْض حُسنا

عنترة بن شداد وعبلة

الفارس الأسود.. أسير الغرام

عنترة بن عمرو بن شداد بن معاوية بن قراد العبسي، ولد عام 525 م بأرض الجزيرة فيما يسمى الآن ببلدة قصيباء بمنطقة القصيم، وهو أحد أشهر شعراء العرب في فترة ما قبل الإسلام، اشتهر بشعر الفروسية، وله معلقة مشهورة. وهو أشهر فرسان العرب وأشعرهم وشاعر المعلقات والمعروف بشعره الجميل وغزله العفيف بعبلة.

كان الأقدمون لا يعرفون بأيّهما كان يدعى: بعنتر أم بعنترة فقد اختلفوا أيضًا في كونه اسمًا له أو لقبًا، كان عنترة يلقب بالفلحاء من الفلح، أي شقٍّ في شفته السفلى، وكان يكنى بأبي الفوارس لفروسيته ويكنى بأبي المعايش.

أمه زبيبة أمة من إماء بنو عبس، وقد ورث السواد من أمه زبيبة، إذ كانت أمه حبشية وبسبب هذا السواد عده القدماء من أغرب العرب، وذاق في صباه ذل العبودية، والحرمان وشظف العيش والمهانة، لأن أباه لم يستلحقه بنسبه، فتاقت روحه إلى الحرية والانعتاق فلم ولم يكن ابن الأمة يلحقه بنسب أبيه إلا إذا برز وأظهر جدارته واستحقاقه للحرية والعتق، والشرف الرفيع، وهذا ما حصل في حال عنترة الذي اشترى حريته بسيفه وترسه وبراعه شعره.

فيَرْوُون أن قومًا أغاروا على بني عبس فأصابوا منهم، فتبعهم العبسيون فلحقوهم فقاتلوهم عما معهم وعنترة فيهم، فقال له أبوه: كِرَّ يا عنترة، فقال عنترة: العبد لا يحسن الكر إنما يحسن الحلب والصر، فقال: كِرَّ وأنت حر، فكرَّ وأبلى بلاء حسنًا يومئذ فدعاه أبوه

بعد ذلك وألحقه بنسبه، وقد بلغ الأمر بهذا الفارس الذي نال حريته بشجاعته أنه دوَّخ أعداء عبس في حرب داحس والغبراء، الأمر الذي دعا الأصمعي إلى القول بأن عنترة قد أخذ الحرب كلها في شعره وبأنه من أشعر الفرسان.

اشتهر عنترة بقصة حبه لابنة عمه عبلة بنت مالك، وكانت من أجمل نساء قومها، وأبعدهم صيتًا في اكتمال العقل ونضرة الصبا، بينما كان عنترة ابن أمة أسود البشرة، أحبَّ عنترة ابنة عمه عبلة بنت مالك أعظم الحب وأشده، ويقال إنه كان من أقسى ما يعيق هذا الحب صلف أبيها مالك وأنفة أخيها عمرو.

ارتفع موضع عنترة وزاد في عبلة طمعه، وكانت هي سبب فصاحته لأنه كلما ذكرها انطلق لسانه بالشعر الرقيق، حتى وقعت هيبته في قلوب الأنام، وسمعت بذلك الشعر أم عبلة وأبوها، غير أنهما لم يكترثا به، فلما كثر الحديث عند أم عبلة دعت عنترة إليها، وقالت له: "يا عنترة، سمعت أنك تحب ابنتي وتذكرها في شعرك".

وكانت عبلة بجانبها وقد أرخت ذوائبها، وسمعت أمها تقول لعنترة ذلك المقال، فتبسمت عن ثغر نادر المثال فازداد بعنترة الهيام، وقال: يا سيدتي. هل رأيتِ من يبغض مولاته؟! أي والله أحبها وحبها لا أنكره وصورتها لا تبرح ناظري، فقالت له: سأطلب لك من زوجي أن يزوجك خمسية جارية ابنتي عبلة فليس لها شبيه في الجمال ولا حاز مثلها رجل من الرجال، فتبسَّم عنترة في حسرة وقال: والله ما أتزوج غير من يهواه الفؤاد، فهمست عبلة في أذن عنترة: بلَّغك الله أمانيك.

وأكثر عنترة من التغزُّل بابنة عمه عبلة بأشعاره حتى تناقلها العرب، وقيل بعضها بين يدي شاس بن الملك زهير، والربيع بن زياد. وكان في مجلس شرب، وكان عندهما عمرو أخو عبلة، فقال شاس:

لقد أعجب هذا العبد بنفسه وترفَّع عن العبيد، فقال الربيع: والله ما أطمعه في ذلك إلا أبوك وأخوك مالك، فثارت نفس عمرو وقال: والله لئن سمعته يذكر أختي في شعره لأسفكن دمه، وشاعت أبيات عنترة في جميع القبائل فازداد حقد أخي عبلة وأثار عليه شاس بن الملك زهير والربيع بن زياد، فواعداه على قتله.

يا عَبلَ إنَّ هَواكِ قَد جازَ المَدى

وَأَنا المُعَنَّى فيكِ مِن دونِ الوَرى

يا عَبلَ حُبُّكِ في عِظامي مَع دَمي

لَمّا جَرَت روحي بِجِسمي قَد جَرى

وَلَقَد عَلِقتُ بِذَيلِ مَن فَخَرَت بِهِ

عَبسٌ وَسَيفُ أَبيهِ أَفنى حِميَرا

يا شَأسُ جِرني مِن غَرامٍ قاتِلٍ

أَبَدًا أَزيدُ بِهِ غَرامًا مُسعَرا

وبينما كان عنترة يحرس ركب النساء والأولاد ذات رجلة، وأغار بعض القوم على قافلتهم، فلما اقتربوا منه صرخت النساء وبكى الأطفال ونظر عنترة إلى عبلة فرأى دموعها تنحدر على خديها وسمية وأم عبلة تصيحان بالويل والحرب، فتقدم عنترة إلى أم عبلة وقال لها: أتزوجيني عبلة حتى أرد هذه الخيل من أول حملة، فقالت: ويلك يا عنترة، أفي مثل هذا الوقت يكون المزاح والأجساد قد كرهت الأرواح. فقال عنترة: لا وحق خالق الصباح، إن وعدتني بذلك رددت هذه الخيل كلها على أعقابها وأعطيتك كل عددها، فقالت: دونك الخيل ولك ما تريد، غير أنها لم تكن تضمر له الوفاء.

وعندما سمع عنترة منها ذلك سُرَّ وركب الجواد وتهيَّأ وأمر العبيد بترك الجِمال، وحلَّ الرحال وقال لأخيه شيبوب: احمِ بنبالك ظهري، وأنا أتلقَّى الخيل بصدري، وما كاد يهجم عليه القوم حتى صاح بهم وإذا بسيفه قد طوَّق النحور، وخاض في الأحشاء، ولم يلبث أن أهلك منهم ثلاثين فارسًا.

لي كَم أُداري مَن تُريدُ مَذَلَّتي

وَأَبذُلُ جُهدي في رِضاها وَتَغضَبُ

عُبَيلَةُ أَيّامُ الجَمالِ قَليلَةٌ

لَها دَولَةٌ مَعلَومَةٌ ثُمَّ تَذهَبُ

فَلا تَحسَبي أَنّي عَلى البُعدِ نادِمٌ

لا القَلبُ في نارِ الغَرامِ مُعَذَّبُ

قَد قُلتُ إِنّي قَد سَلَوتُ عَنِ الهَوى

مَن كانَ مِثلي لا يَقولُ وَيَكذِبُ

هَجَرتُكِ فَامضي حَيثُ شِئتِ وَجَرِّبي

مِنَ الناسِ غَيري فَاللَبيبُ يُجَرِّبُ

فتقدم عنترة إلى عمه مالك يخطب ابنته عبلة، ولكنه رفض أن يزوِّج ابنته من رجل أسود، رغم أن الملك زهير بعدما أبلى عنترة بلاء حسنًا في كل معاركهم مع المغيرين عليه وأولاده قد قرَّبه من مجلسه، وخلع عليه لباسه، ومنحه الذهب، ورفض أن يسقي الشراب كبقية العبيد، ويقال إن أبا عبلة لما رأى من تقريب زهير لعنترة وحثَّه على الموافقة على زواجهما، طلب منه تعجيزًا له وسدًّا للسبل في وجهه ألف ناقة من نوق النعمان المعروفة بالعصافير مهرًا لابنته، ويقال: إن

عنترة خرج في طلب عصافير النعمان حتى يظفر بعبلة، وإنه لقي في سبيلها أهوالًا جسامًا، ووقع في الأسر، ثم تحقق حلمه في النهاية وعاد إلى قبيلته ومعه مهر عبلة ألفًا من عصافير الملك النعمان، ولكن عمه عاد يماطله ويكلفه من أمره شططًا، ثم فكر في أن يتخلص منه، فعرض ابنته على فرسان القبائل على أن يكون المهر رأس عنترة.

واختلف الباحثون على نهاية قصة حب عنتر وعبلة، فمنهم من يرى أن عنترة فاز بعبلة وتزوجها، ومنهم من يرى أنه لم يتزوجها، وإنما ظفر بها فارس آخر من فرسان العرب، وذهب البعض إلى القول بأن عنترة لم يتزوج عبلة، بل تبتَّل في حبها، وأن أباها وأخاها منعاه زواجها، وأنها زوِّجت أحد أشراف قومها على رغم عنترة، وقد قاس أصحاب هذا الرأي قولهم هذا قياسًا على عادة العرب من منعها بناتها أن يزففن إلى من يحبهن قبل الزواج، حتى أنه أنشد فيها معظم شعره.

سلي يا عبلة الجبلينِ عنَّا

وما لاقتْ بنو الأعجام منَّا

أَبَدْنَا جَمْعَهُمْ لما أَتوْنا

تموجُ مواكبٌ إنسًا وجنا

وراموا أكلنا من غير جوعٍ

فأشبعناهُمُ ضربًا وطعنا

ضربناهم ببيضٍ مرهفاتٍ

تَقُدُّ جُسُومَهُمْ ظهْرًا وَبَطْنا

وفرَّقنا المواكبَ عن نساءٍ

يزدْنَ على نساءِ الأَرْض حُسنا

ويميل البعض إلى الرأي القائل أن عنترة تزوج عبلة لعوامل وأسباب، منها أنه قد استحلق بنسب أبيه فزالت عنه هجنة النسب وأصبح ابن عمٍّ لعبلة، ثم إنه كان من أشهر فرسان قبيلة بني عبس بل فرسان العرب، وقوته وفروسيته مما لا يغفله من حسابه من يريد زواج عبلة، إذ أنه سيتعرَّض لانتقام عنترة وثأره لكرامته.

ولكن في أغلب الظن أن عنترة لم يتزوج عبلة، ولكنه قضى حياته راهبًا متبتِّلًا في محراب حبها، يغني لها ويتغنَّى بها، ويمزج بين بطولته وحبه، وهذا ما يُفهم من بعض شعره، بل إنه وصف زوجها بأنه فارس عربي ضخم أبيض اللون، حيث يقول لها في إحدى قصائده الموثوق بها التي يرويها الأصمعي:

إما تَرَيْني قد نَحَلْتُ وَمَنْ يكنْ

غَرَضًا لأَطْرافِ الأَسِنَّةِ يَنْحَلِ

فلربَّ أبلجَ مثل بعلكِ بادنٍ

ضَخْمٍ على ظهر الجواد مُهيّلِ

غادرتهُ متعفرًا أوصاله

والقومُ بين مجَرحٍ ومجدَّلِ

وقد كانت عبلة وظلت الأثيرة في حياته وحتى مماته. وقد انتهت حياة عنترة بعد أن بلغ التسعين من عمره، ومات مقتولًا إثر رمية سهم، وكان الذي قتله يلقَّب بالأسد الرهيص من قبيلة طيء، وكان لامارتين الشاعر الفرنسي معجبًا بميتة عنترة الذي ما إن أصيب بالسهم المسموم وأحس أنه ميت لا محالة، حتى ظل ممتطيًا صهوة جواده، مرتكزًا على رمحه، وأمر الجيش بأن يتقهقر وينجو من بأس الأعداء، وظل في وقفته تلك حاميًا ظهر الجيش والعدو يبصر الجيش الهارب،

ولكنه لا يستطيع اللحاق به لاستبسال قائده البطل في الذود عنه ووقوفه دونه، حتى نجا الجيش وأسلم عنترة الروح، باقيًا في مكانه، متكئًا على الرمح فوق جواده الأبجر.

إن المصادر القديمة لا تمدنا بكثير من تفاصيل قصة عنتر وعبلة، ولكنها في إطارها العام قصة ثابتة لا شك فيها خلدها عنتر بنفسه في شعره الذي يفيض بأحاديث حبه وحرمانه.

ولكن تذكر بعض المراجع في سيرة عنتر بن شداد أنه بعدما حارب كثيرًا ليتزوج من ابنة عمه عبلة العبسية وتزوجها وتزوَّج من بعدها ثمانٍ أخريات، وأنجب من الأولاد عددًا كبيرًا اختلف المؤرخون في عدد الزوجات والأبناء، ولكن معظمهم أكَّد على أنه تزوَّجها بالفعل وفاز بها وبقلبها ونسبها ثم تزوج العديد من النساء من بعدها.

ثم ترامت إليه أنباء بأن عفراء لم تمت، ولكنها تزوجت، فثارت ثائرة عروة، وصبَّ جام غضبه على عمه الذي خدعه مرتين؛ مرةً حين منَّاه بعفراء، ودفع به إلى الأرض البعيدة خلف مهرها، ثم خدعه مرة أخرى حين لفَّق له قصة موتها، وتركه فريسة أحزانه ودموعه.

عفراء وعروة بن حزام

عروس جميلة.. من يشتري

هي من أقدم قصص الحب العذري تاريخيًّا، حيث أنه من المعلوم أن عروة هذا مات في خلافة سيدنا عثمان بن عفان.

كان عروة بن حزام بن مهاجر الضبي، من بني عذرة، شاعر، من متيمي العرب، عاش في بيت عمه والد عفراء بعد وفاة أبيه وهو صغير السن، وتربَّيا مع بعض وربط الحب بين القلبين الصغيرين منذ طفولتهما المبكرة، وشبَّ مع شبابهما.

فلما شبَّ عروة تمنى أن يتزوج عفراء، فأرسل إلى عمه يخطبها إليه، ووقف المال عقبة في طريق العاشقين، فقد غالت أسرة عفراء في المهر، حيث كانت أم عفراء تريد زوجًا ثريًّا يدفع مهرًا كبيرًا لابنتها، وعجز عروة عن القيام به.

وألحَّ عروة على عمه، ولكن راح والدها يماطله ويمنِّيه الوعود، لم يجد عروة بدًّا من السعي عند عمٍّ له ثري في اليمن طالبًا عونه، وفي أثناء غيبته قدم أمويٌّ غنيٌّ من الشام، ونزل بحيِّ عفراء، ورآها فأعجبته، فخطبها من أبيها، ثم تم الزواج رغم معارضتها، ورحل بها إلى الشام حيث يقيم.

وعندما عاد عروة محمَّلًا بمهرها أخبره عمه أن عفراء قد ماتت، وأراه قبرًا جديدًا وقال له إنه قبرها، فلزم هذا القبر، يبثُّه آلامه، ويندب حظه، ويبكي حبه الضائع ومأساته الحزينة، ويذيب نفسه فوق أحجاره حسرات ودموعًا، فقد فقد حبيبته ورفيقة صباه.

ثم ترامت إليه أنباء بأن عفراء لم تمت، ولكنها تزوجت، فثارت ثائرة عروة، وصبَّ جام غضبه على عمه الذي خدعه مرتين؛ مرة حين منَّاه بعفراء، ودفع به إلى الأرض البعيدة خلف مهرها، ثم خدعه مرة أخرى حين لفَّق له قصة موتها، وتركه فريسة أحزانه ودموعه، فمضى يهجوه:

فيا عمُّ يا ذا الغَدْرِ لا زِلْتَ مُبْتَلىً

حليفًا لهمٍّ لازمٍ وهوانِ

غدرتَ وكانَ الغدرُ منكَ سجيّةً

فَأَلْزَمْتَ قلبي دائمَ الخفقانِ

وأورثتني غمًّا وكربًا وحسرةً

وأورثتَ عيني دائمَ الهملانِ

فلا زِلْتَ ذا شوقٍ إلَى مَنْ هويتهُ

وقلبكَ مقسومٌ بِكُلِّ مكانِ

وانطلق عروة إلى الشام، ونزل ضيفًا على زوج عفراء والزوج يعرف أنه ابن عم زوجته ولا يعلم بحبهما بطبيعة الحال، ولأنه لم يلتقي بها بل بزوجها فقد راح هذا الأخير يماطل في إخبار زوجته بنبأ وصول ابن عمها، ففكَّر عروة في حيلة عجيبة، فقد ألقى بخاتمه في إناء اللبن وبعث بالإناء إلى عفراء مع إحدى الجواري.

وأدركت عفراء على الفور أن ضيف زوجها هو حبيبها القديم قد عاد فتلتقي به، والتقى عروة بعفراء يتذكران ماضيهما السعيد، وما فعلت بهما الأيام، ولكن سرعان ما أدرك عروة خطأ ما يفعله فصمَّم على العودة إلى وطنه حرصًا على سمعة عفراء وكرامتها، واحترامًا

لزوجها الذي أحسن وفادته وأكرم مثواه، ورحل عروة بعد أن زوَّدته عفراء بخمارٍ لها ذكرى منها.

وفي أرض عذرة ساءت أحوال عروة، واشتدَّ عليه الضنى، واستبدَّ به الهزال، وألحَّ عليه الإغماء والخفقان، وأخذه مرض السل، وعجز الطب عن علاجه.

فلجأ عروة إلى الشعر يبثه آلامه وأحزانه، ويصور فيه ما يلحُّ على نفسه من أشواق وحنين، وما يضطرب بين جوانحه من أسى ووجد، فيقول:

تحمّلتُ منْ عفراءَ ما ليسَ لي بهِ

ولا للجبالِ الرّاسياتِ يدانِ

كَأَنَّ قَطاةً عُلِّقَتْ بِجَناحَيَا

على كبدي منْ شدّةِ الخفقانِ

جعلتُ لعرّافِ اليمامةِ حكمهُ

وَعَرّافِ حَجْرٍ إنْ هما شَفيانِي

فَقالاَ: نَعَمْ نَشْفِي مِنَ الدَّاءِ كُلَّهِ

وقاما مع العُوَّادِ يُبتَدَرانِ

ودانَيْتُ فيها المُعْرِضُ المُتَوَانِي

لِيَسْتَخْبِرانِي. قُلْتُ: منذ زمانِ

فما تركا من رُقْيَةٍ يَعْلمانِها

ولا شُرْبَةٍ إلاَّ وقد سَقَيَانِي

فما شفا الدّاءَ الّذي بي كلّهُ

وما ذَخَرَا نُصْحًا، ولا أَلَوانِي

ثم مات عروة وهو يهذي باسم عفراء ويحادث طيفها، وبلغ النبأ عفراء، فاشتدَّ جزعها عليه، وذابت نفسها حسرات وراءه، وظلت تندبه وتبكيه وامتنعت عن الطعام والشراب حتى لحقت به بعد فترة وجيزة، ودفنت في قبر بجواره.

لا تظنَّ أني ثمل، وأني صريع الهوى، بل إنني سيد مملكة العشق، لقد تجرَّدت من أسباب المادة وربقة الشهوات، فالعشق الطاهر خلاصة الوجود.

قيس وليلى

جنون الحب.. حب وجنون

لم تشتهر قصة غرامٍ في الأدب العربي كما اشتهرت قصة ليلى والمجنون. فقد أجمع الرواة على أن قصة ذلك الحب العُذري الطاهر بين قيس بن الملوح وليلى العامرية قد وقعت خلال العصر الأموي، وقيل إن وفاة قيس كانت بين 65 /68 هـ، دارت أحداث قصة الحب بين قيس وليلى في الجزيرة العربية بجبل التوباد وظلت الأجيال ترويها جيلًا بعد جيل وكتبت حولها المئات وربما الآلاف من الروايات والقصائد والقطع الأدبية المختلفة، على مرّ العصور عربيٌّ وأعجميٌّ، فكتب عنها الروايات والمسرحيات ونظمت القصائد الشعرية أغلبها تحت مسمى (مجنون ليلى)، وتعدُّ أشهرها في العصر الحديث المسرحية الشعرية التي كتبها أمير الشعراء أحمد شوقي بنفس الاسم.

وانتشرت بين أدباء فارس، حيث نظمت هذه القصة في الأدب الفارسي أكثر من مرة، وكان أشهرها "لنظام الكنجوي"؛ حيث نظمها فيما لا يزيد على أربعة آلاف وخمسمائة بيت، وكذلك عالج قصة قيس وليلى الكثير من شعراء الفرس، منهم سعدي الشيرازي ثم خسرود هلوي، ثم عبد الرحمن جامي وغيرهم، وإن كانت أشعارهم جميعهم تشترك في الملامح العامة الفلسفية والآراء الاجتماعية الصوفية.

ولقد رويت القصة بروايات مختلفة في عدد من المراجع، ولكن أجمع الكل على بعض الثوابت نشأة قيس وليلى ونشأة حبهما.

لقد نشأ قيس وليلى في بني عامر في نجد، وذكر أغلب الرواة أن قيسًا وقع في غرام ليلى منذ أن كانا صبيين صغيرين يرعيان غنم أهلهما، وقد دلَّ على ذلك بقوله:

تعلَّقتُ ليلى وهي ذاتُ تمائمٍ

ولم يبدُ للأترابِ من ثديها حجمُ

صغيرين نرعى البَهم يا ليت أننا

إلى اليوم لم نكبُر ولم تكبُر البَهمُ

عشقتُكِ يا ليلى وكنتِ صبيَّةً

وكنتُ ابن سبعٍ ما بلغتُ ثمانيا

ولم يكن قيس يعرف الحبَّ قبل ذلك، فاستحوذ حبُّ ليلى على عقله وقلبه وثبت في القلب، كما قال لها في أحد قصائده:

أَتاني هواها قَبْلَ أَنْ أَعْرِفَ الهوى

فصادفَ قلبًا خاليًا فتمكَّنا

وبادلته ليلى الحب بالحب والإنشاد بالإنشاد وصارحته بالغرام في قصائدها، وقالت له مرة:

كِلانا مُظهرٌ للناسِ بُغْضًا

وكُلٌّ عندَ صاحبِهِ مكينُ

تبلِّغُنا العيونُ بما أَرَدْنا

وفي القلبينِ ثَمَّ هوىً دفينُ

ويروى أن بداية ظهور عشقه لليلى، أنه مرَّ يومًا على ناقة له بامرأة من قومه، وعندها نسوة يتحدثن، فأعجبهن، فاستنزلنه للمنادمة، فنزل وجعل يقلِّب طرفه حتى وقع على ليلى فلم يصرف عنها طرْفًا. وشاغلته فلم يشتغل، ثم قال لها هل عندكم ما تأكلن، قالت: لا. فعمد إلى ناقته فنحرها وقطّعها، وجاءته لتمسك معه اللحم فجعل يحزُّ بالمدية في كفه وهو شاخصٌ فيها حتى أدمى كفَّه، فجذبتها من يده

ولم يدر. وأوقد نارًا لشواء اللحم وطرح قطع اللحم فيها، ثم قال لها ألا تأكلين الشواء، فقالت نعم، فطرح من اللحم شيئًا على الجمر وأقبل يحدثها، فقالت له انظر إلى اللحم هل استوى أم لا؟ فمد يده إلى الجمر وجعل يقلب بها اللحم، فاحترقت يده وهو لا يشعر، فلما علمت ما داخله، صرفته عن ذلك، ثم شدَّت يده بهدب قناعها. ثم ذهب وقد تحكَّم عشقها في قلبه فقال:

أمرُّ على الدِّيارِ ديارِ ليلى

أقبِّلُ ذا الجدارَ وذا الجدارا

وما حبُّ الدِّيارِ أهاج وجدي

ولكنْ حبُّ من سَكِنَ الدِّيارا

وكان كثير التردُّد على ليلى والحديث معها مع بقية بنات الحي، وكان أظرف الفتيان وأرواهم لأشعار العرب، ولم يكن الجلوس معها مستغربًا آنذاك حيث إنه نشأ يلعب ويرعى الأغنام معها صغيرًا.

كما ذكر أنه ذهب مرةً لطلب نارٍ من بيت ليلى فأخرجت ليلى له النارَ في خِرقة، ووقفا يتحدَّثان فلما احترقت الخرقة قطع قطعةً من ردائه وجعل النار فيها، واستمرَّ يقطع من ردائه وهما يتحدثان حتى لم يبقَ عليه إلا ما وارى عورته دون أن يدرك ما حدث.

فقصة إحراق ثوبه إن لم تكن من اختلاق الرواة، فقد تكون وقعت له بعفوية وبراءة، ولكني أدرك أن قيس بن الملوح كان متعمِّقًا في اللغة ومعانيها ومفرداتها التي صاغ منها تلك القصائد الرائعة في الحب وخلجات القلوب. ولم أعثر له على أبيات شعرية تصف تلك القصة لأنها في الشعر قد تكون رمزية. فإن كان قد ذكرها في أبيات مفقودة فقد يكون يقصد - شعوريًّا أو لا شعوريًّا - أن احتراقَ ثوبِه

يدلُّ أو يرمز إلى احتراق بدنه أو نفسه أو قلبه من شدة الحب، حيث إن الثياب لها كل تلك المترادفات في اللغة. ففي المحيط في اللغة ذُكر أن العرب تكني بالثياب عن الأبدان والنفس. وقد ورد في تاج العروس أنه قد يطلق الأثواب على لابسها. والعرب تكني بالثياب عن النفس لاشتمالها عليه. ومن مترادفات الثوب القلب، (مجنون ليلى) وأُجبِرت ليلى على الزواج برجلٍ آخر.

وحين شاعَ خبر هذا الحب الذي يربط بينهما حتى أصبح هذا الحب على الألسن تتناقل قصة هذين العاشقين، وتطوَّر هذا الحب وأصبح قيس أسيرًا له، حتى أخذ يؤثر على سلوكه وتصرفاته، ولاحظ عليه زملاؤه بعض مخايل الجنون فلقَّبوه بالمجنون، أو مجنون ليلى.

وعندما انتشرت قصة العشق هذه مُنعا من اللقاء فأصيب قيس بالإحباط وهامَ على وجهه في الصحراء وصاحب الحيوانات، وامتنع عن الأكل والشراب، وأخذ يتنقَّل بين الوديان والقفار ينظم شعرًا يفيض رقة وعذوبة، وكان إذا توجَّه في مكان بالقرب من ليلى قال:

يا شمع أسرار الروح

رفقًا بفراشة روحي حتى لا تحرق بنارك

أنت الدواء لدائي، والمرهم لجرحي

قد أصابتنا العين ففرقتنا[1]

وعندما زادت حالة قيس سوءًا، خطب والد قيس ليلى لقيس، ولكن والدها رفض قائلًا:

[1] - أبيات مترجمة من المرجع الفارسي لنظامي كنجوي

إنه يظهِر الجنون، فلا يليق بنا أن نصاهر مجنونًا، ثم قال مخاطبًا والد قيس: أنت تعلم كيف يتتبع العرب العيوب فماذا يقولون لو أنني أقدمت على هذا الأمر؟

وحاول أهله أن يزوِّجوه غيرها لكن قيس رفض، وآثر الانزواء في الصحارى، وأخذ يضرب في الصحراء، ومع اشتداد تولُّهه وجنونه؛ فكر والده في الذهاب به إلى الحج لعله ينسى ما أصابه، ولكن قيس عندما وصل أرض الحجاز قال:

"يا رب بعزة ربوبيتك وجلال ألوهيتك اجعلني أبلغ أقصى درجات العشق حتى يبقى، امنحني النور من عين العشق، فيا رب هبني - في كل لحظة - ميلًا أعظم إلى ليلى، وخذ ما ما بقي من عمري، وزد في عمرها".

وبعدما يأس أهل ليلى من أمر قيس وهيامه في كل مكان منشدًا شعرًا في ليلى، حتى لاكت الألسن سيرتها شكا أهلها أمر قيس إلى الوالي الذي أباح لهم دمه إذا قدم إلى حيِّهم، وحاول والد قيس أن يثنيه عن حب ليلى، ولكنه قال رافضًا: ما دام الأمر خارجًا عن نطاق اختيارنا، فإن تحسين الحال أو تغييره ليس من شأننا، وقال: إنكم تلومونني في البكاء وفي شأن المبتلين، إنني - أخاف أن أضحك فأحترق بضحكتي كما يحترق السحاب بضحكات البرق".

عندما تعذَّر اللقاء بينهما أصبحا يتراسلان شعرًا، وكانت ليلى تسرِّي عن نفسها بالخروج بين الحين والحين إلى التنزُّه في فصل الربيع داخل حديقة مجاورة، وكانت الحديقة قد غصت بالورود الحمراء والصفراء، وفي أثناء التنزُّه رآها شاب من قبيلة بني أسد اسمه ابن سلام فأعجب بها وتقدَّم لخطبتها فوافق والدها، حتى تبرَّأ من سقمها.

وفي هذه الأثناء التقى قيس بأحد وجهاء العرب يدعى نوفل، وهو من أصحاب السطوة والسلطان الذي وعد قيس بالمساعدة بالمال أو بالحرب، ولما رفض والدها الجاه والمال تقدَّم نوفل لمحاربته حيث

أسره، ولكنه أصرَّ على موقفه وقال لنوفل تضرعًا: إما أن تستجيب لتضرُّعي وتعفيني من هذا القيد وإلا فإني أقسم بالله أنني عندما أعود إلى دياري سوف أقتل هذه العروس وألقي برأسها في طريق الكلاب حتى أتخلص من اسمها وعارها، عندها عرف نوفل أن لا فائدة من والدها فأطلق سراحه، وعندما علم قيس بذلك حزن كثيرًا، أما ليلى فقد أرغمت على الزفاف إلى ابن سلام، وعندما حاول أن يقترب منها صدَّته قائلة:

"أقسم بخالقي الذي صوَّرني على هذا الجمال لن تنال مني غرضًا وإلا أرقت دمي بسيفك". عندها يئس من وصالها وقنع منها بالرؤية.

وعندما فقد والد قيس صلاح ولده، تأثَّر عليه ونزل به المرض حتى مات، واستمرَّ حال قيس في الصحاري ينتقل من مكان لآخر، وألف حياة الصحراء مع الوحوش وألفته وأحبته، وكان إذا ما سار سارت حوله مشكلة صفَّين وكأنها تحرسه.

وسمع شابٌّ ثريٌّ يُدعى سلام قصة مجنون ليلى فتوجَّه إلى ديار المجنون لأنه هو كان عاشقًا مثله، ومكث معه فترة يسجِّل أشعاره، وعندما أشار سلام على قيس ناصحًا بالابتعاد عما هو فيه قال له:

"لا تظن أني ثمل، وأني صريع الهوى، بل إنني سيد مملكة العشق، لقد تجرَّدت من أسباب المادة وربقة الشهوات، فالعشق الطاهر خلاصة الوجود".

وبعد فترة مات زوج ليلى، ثم احتجبت هي؛ لأن من عادة العرب أن تحتجب من مات زوجها لمدة قد تصل إلى عامين، فمرضت وتوفِّيت، وعندما علم قيس بذلك جاء قبرها وبقي ينتحب حتى مات، فدفن مع ليلى.

وبعد أن حُرما من اللقاء في الدنيا، دفن قيس وليلى بعد موتهما في قبرين متجاورين.

ألا ليتَ أيامَ الصفاءِ جديدُ

ودهرًا تولَّى يا بثينُ يعود

جميل بن معمر وبثينة

أحب بني عذرة

من أشهر قصص الحب العذري والتي خلَّدت نفسها بنفسها من خلال أشعار جميل في بثينة قبل تواتر حكاياتهم على ألسنة رواة السير ثم المؤرخين.

حدثت تلك القصة في العصر الأموي في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان أو الخليفة الوليد بن عبد الملك، كانت بثينة فتاة من بني الأحب، وهم من نسب بني عذرة.

أما جميل فكان من نسب آخر من بني عذرة هم نسب عامر، وبني عذرة كانت في شمال الحجاز، في وادي القرى الذي يقع على مقربة من الطريق التجاري بين مكة والشام، وكانت تلك القبيلة مشهورة منذ العصر الجاهلي بالقوة والمنعة والشرف، وقد دخلت بنو عذرة الإسلام في السنة السابقة للهجرة، وشارك أبناؤها في غزوات الرسول وفي الفتوحات الإسلامية.

رأى جميل بثينة وهو يرعى إبل أهله، وجاءت بثينة بإبل لها لتَرِدَ بها الماء، فنفرت إبل جميل فسبها، ولم تسكت بثينة إنما ردت عليه، وبدلا من أن يغضب أعجب بها، واستملح سبابها فأحبها وأحبته، وبدأت السطور الأولى في قصة هذا الحب العذري الخالدة.

كما قال جميل:

وأوّلُ ما قادَ المَودّة بيننا

بوادي بَغِيضٍ، يا بُثينَ، سِبابُ

وقلنا لها قولاً، فجاءتْ بمثلهِ،

لكلّ كلامٍ، يا بثينَ، جوابُ

وتطور الإعجاب بين الاثنين وتحوَّل إلى حب، وراحا يتواعدان سرًّا، وتمرُّ الأيام، ولقد اشتدَّ حب جميل ببثينة، واشتدَّ هيامها به، وشهدت أرض عذرة العاشقين يلتقيان ولا يكاد أحدهما يصبر عن صاحبه.

وكلما التقيا زادت أشواقهما، فيكرران اللقاء حتى شاعت قصتهما، واشتهر أمرهما، ووصل الخبر إلى أهل بثينة، فتوعَّده قومها، وعندما تقدَّم جميل يطلب القرب منهم في ابنتهم رفضوه، وأبوا بثينة عليه وردُّوه دونها، وتوعَّدوه بالانتقام، وسارعوا بتزويج ابنتهم من فتى منهم يدعى نبيه بن الأسود العذري.

وكان جميل من فتيان عذرة وفرسانها الأشداء، وكان قومه أعز من قوم بثينة، فوقف في وجههم ولم يستسلم، بل راح يتحدَّى أهل بثينة ويهددهم.

ولم يغير هذا الزواج من الحب شيئًا، ووجد السبل إلى لقائها سرًّا في غفلة من الزوج، وظلت العلاقة بينهما كما كانت من قبل، يزورها سرًّا في غفلة من زوجها، أو يلتقيان خارج بيت الزوجية، وما بينهما سوى الطهر والعفاف.

وعندما علم الزوج باستمرار علاقة بثينة بجميل ولقاءاتهما السرية، لجأ إلى أهلها يشكوها لهم، ويشكو إلى أهل جميل.

ومُنع جميل عن بثينة مرة أخرى، ومرة أخرى ألحَّ عليه الشوق، ولم يُطِق عنها صبرًا، فعاود زيارتها معرضًا نفسه للهلاك، وأنشد يقول:

لقد لامني فيها أخٌ ذو قرابةٍ

حبيبٌ إليه، في مَلامتِه، رُشدي

وقال: أفِقْ، حتى متى أنتَ هائمٌ

ببَثْنةَ، فيها قد تُعِيدُ وقد تُبدي

ثم فرَّ جميل إلى اليمن حيث أخواله من جذام، وظل مقيمًا بها حتى عزل ابن ربعي، فعاد إلى وطنه ليجد قوم بثينة قد رحلوا إلى الشام، فرحل وراءهم.

ثم يئس جميل من هذه المطاردة التي لا تنتهي، وفرَّقت البلاد بينه وبين بثينة، ولم يعد لقاؤهما ميسَّرًا كما كان عندما كانت تضمهما جميعًا أرض عذرة، فقرر أن يرحل إلى مصر، ليلحق ببعض قومه الذين سبقوه إليها، واستقرُّوا بها، كما فعلت كثير من القبائل العربية التي هاجرت إليها بعد الفتح.

وانتهز جميل فرصة أتيحت له في غفلة من أهل بثينة، فزارها وودَّعها الوداع الأخير، ثم شدَّ رحاله إلى مصر حيث قضى فترة من الزمن لم تطل، يتشوَّق إليها، ويتذكر أيامه معها، ويبكي حبه القديم.

وعبَّر عن ذلك وقال:

ألا ليتَ أيامَ الصفاءِ جديدُ

ودهرًا تولَّى يا بثينُ يعودُ

فنغنى كما كنا نكون، وأنتمُ

صديقٌ وإذ ما تبذلين زهيدُ

وقال في قصيدة أخرى:

وما ذكرتكِ النفسُ، يا بثنَ، مرةً

من الدهر، إلاّ كادت النفسُ تُتلَف

وإلاّ اعترتني زَفرةٌ واستِكانَةٌ،

وجادَ لها سجلٌ من الدمع يذرفُ

ووَدَّع جميل الحياة بعيدًا عن بثينة التي أفنى شبابه في طلبها، بأرض مصر بعيدًا عن أرض عذرة التي شهدت أيامهما السعيدة والشقية.

فدعا أخاه فعرَّفه أنه عاشق لامرأته، فقال له: يا أخي أنا أنزل لك عنها وتتزوجها.

فلما سمعه الفتى استحيا منه وخرج هاربًا على وجهه، فلم يقفوا له على خبر أبدًا، ولذا سمي فقيد ثقيف في كتب السير والرواة.

فقيد ثقيف وامرأة أخيه

قال الأصمعي: كان فتى من ثقيف شديد الحياء، كريمًا أديبًا، فبينا هو جالس، إذ مرَّت به امرأة من أجمل النّساء، فلم يتمالك أن قام من مجلسه ليعلم من هي، وأين تريد؟ فاتبعها حتى دخلت منزل أخيه فعلم أنها امرأته.

فضاق به الأمر ولم يدر ما يصنع، وكتم شأنه، وجعل ما به يزداد كل يومٍ حتى نحل جسمه، فتعجَّب أخوه وأهله وسألوه عما به. فلم يخبرهم بشيء، فدعا أخوه الأطباء فعالجوه فلم يعلموا ما به، فلما حيرهم ما به، وزاد سقمه، سلمه أخوه إلى الحارث بن كلدة وكان من أطباء العرب المعروفين، فنظر إليه الحارث فلم يرَ به داءً معروفًا، ففطن إلى أنه عاشق، فخلا به الحارث وسأله، فأنكر ولم يجبه بشيء.

فلما تحير الحارث في أمره لجأ إلى حيلة لسبر أغواره، فجعل يسأل عن أسمائهم وأسماء نسائهم، والفتى ملقى بين يديه، كلما سمِّيت امرأة منهم نظر الحارث إليه حتى جاء اسم امرأة أخيه فارتاح وتنفَّس، ثم اغرورقت عيناه بالدموع. فعلم الحارث أمره، وقال لأخيه:

"اذهب فجئني بجميع أهليكم، ولا يتخلَّف عنّي منهم امرأةً ولا رجلًا، فإنّي قد وقعت على دائه".

فخرج أخوه حتى أتى أهله جميعهم في منزل ونقل الحارث المريض إليه، وقال: لا يغيبن عنه امرأة ولا رجل. فلما نظر الرجل إلى امرأة أخيه خفَّ عنه بعض ما كان يجده.

فعرف الحارث ذلك منه، فأمر بشاةٍ فذُبحت، وأخرج كبدها فوضعها على النار، ثم أطعمه منها فأكل، ثم مزج له شربةً خفيفةً فسقاه، واستمرَّ معه على ذلك أيامًا يزيده في كلِّ يومٍ شيئًا قليلًا في مطعمه ومشربه، فتحسَّن حاله، فلما رأى الحارث أنه قوي بعض

الشيء صنع له طعامًا وهيَّأ له شرابًا، ثم أحضر الفتى وأخاه فأكلا وشربا.

وأمر الحارث أخاه أن ينصرف وقام هو ووكل هو بالفتى من يسقيه ويعينه، وقال: احفظ حديثه، وكل ما يتكلم به، وحدِّثه كلَّ حديثٍ تعرفه في العشق وأخبار العشاق، وأشعارهم. فسكر الفتى وأنشد:

أهل ودِّي، ألا سلِّموا

وقفوا كي تكلِّموا

أخذ الحي حظّهم

من فؤادي وأنعم

فهمومي كثيرة

وفؤادي متيّم

وأخو الحب جسمه

أبد الدهر يسقم

فلما أصبح الحارث، دعا الموكل بالفتى فسأله، فحدثه عن ما حدث معهم وأنشد الأبيات التي تغنَّى بها، فدعا أخاه فعرَّفه أنه عاشق لامرأته، فقال له: يا أخي أنا أنزل لك عنها وتتزوجها.

فلما سمعه الفتى استحيا منه وخرج هاربًا على وجهه، فلم يقفوا له على خبر أبدًا، ولذا سمي فقيد ثقيف في كتب السير والرواة.

لَو كنت تنصفُ في الهوى ما بيننا

لم تهوَ جاريتي ولم تتخيّرِ

وَتركتَ غصنًا مثمرًا بجماله

وجنحتَ للغصنِ الذي لم يثمرِ

ولقد علمت بأنّني بدر السما

لَكن دهيت لشقوتي بالمشتري

ولَّادة بنت المستكفي وابن زيدون

فراشة بني أمية

ولَّادة بنت المستكفي بالله محمد بن عبد الرحمن الأموي، شاعرة أندلسية، من بيت الخلافة الأموية بالأندلس، كانت أمها جارية إسبانية اسمها سكرى وقد ورثت منها بشرتها البيضاء وشعرها الأشقر، وعينيها الزرقاوين.

كان والدها آخر خلفاء الأندلس، وقد كان سيئ السيرة ضعيفًا، مجاهرًا بالملذات، فخلعه أهل قرطبة، ومات مقتولًا أو مسمومًا، وكانت ولَّادة يومئذ في السادسة عشرة من عمرها، وقد ربى ابنته على حياةٍ لاهية عابثة تلائم سيرته، وكانت في الوقت نفسه أديبة شاعرة، وكان لها في منزلها بقرطبة مجلس أدبي أشبه بمنتدى سكينة بنت الحسين في المدينة المنورة، وهذا المجلس كان يضم عددًا من الشعراء والأدباء والظرفاء، وكانت تلقَّب باسم فراشة العصر الأموي.

أما ابن زيدون فكان ينتمي إلى قبيلة مخزوم، عاش في قرطبة وكان شاعرًا لا يشق له غبار وبرع كذلك في النثر، وكانت قرطبة آنذاك تحت حكم بني جهور، ويعد عصره أزهى عصر أدبي في الأندلس، وفي شبابه كان يتردَّد على الصالون الأدبي لولادة بنت المستكفي فنشأت بينهما علاقة حب متبادل، ولا سيما في بداياتها، وتفجرت على شكل قصائد رائعة حفظت لنا قصة هذا العشق الأندلسي بين ولادة وابن زيدون، وتبادلا الحب الجارف العنيف، وتعلقت هي به وأحبته بعمق وجهرت بعشقها له إذا غاب عنها، فقالت فيه:

أَلا هَل لنا من بعد هذا التفرّق

سبيلٌ فيشكو كلّ صبّ بما لقي

وَقد كنت أوقات التزاورِ في الشتا

أبيتُ على جمرٍ من الشوق محرقِ

فَكيفَ وقد أمسيت في حال قطعة

لَقد عجّل المقدور ما كنت أتّقي

تمرُّ الليالي لا أرى البين ينقضي

وَلا الصبر من رقّ التشوّق معتقي

سَقى اللَه أرضاً قد غدت لك منزلاً

بكلّ سكوب هاطل الوبل مغدقِ

شارك ابن زيدون في الأحداث السياسية وتوزعت حياته بين الحب والسياسة، وقد قرَّبه أمير قرطبة إليه، وولَّاه الوزارة، وطابت له الأيام.

وعاش ابن زيدون أياما سعيدة مع أميرة حبه ولادة وقد أفصح لنا عن بعض تفاصيل علاقته بها، فقد جاء على لسانه قوله: كنت في أيام الشباب وغمرة التصابي هائما بغادة تدعى ولادة فلما قدر اللقاء وساعد القضاء كتبت إليَّ تقول:

ترقّب إذا جنّ الظلام زيارتي

فإنّي رأيت الليل أكتم للسرِّ

وَبي منك ما لو كانَ بالشمسِ لم تلح

وبالبدر لم يطلع وَبالنجم لم يسرِ

فلما طوى النهار كافوره، ونشر الليل عنبره، أقبلت بقدٍّ كالقضيب، وردف كالكثيب، وقد أطبقت نرجس المقل على ورد الخجل، فملنا إلى روض مدبج، وظل سجسج، قد قامت رايات أشجاره، وفاضت سلاسل أنهاره، ودر الطل منثور وجيب الراح مزرور، فلما شببنا نارها، وأدركت

فينا ثارها، باح كل منا بحبه وشكى أليم ما بقلبه، وبتنا ليلة نجني فيها أقحوان الثغور ونقطف رمان الصدور، فلما انفصلت عنها صباحا أنشدتها ارتياحا:

ودّع الصبرَ محبّ ودّعك

ذائع مِن سرّه ما اِستودَعك

يقرع السنّ على أَن لم يكن

زادَ في تلك الخطى إذ شيّعك

يا أَخا البدرِ سناء وسنى

حفظ اللَه زماناً أطلَعك

إن يطُل بعدك ليلي فلكم

بتّ أشكو قصرَ الليل مَعك

إلا أن هذه السعادة لم تدم طويلًا فقد نافسه فيها وزير آخر هو ابن عبدوس الذي راح يكيد لابن زيدون، وقد أفلح في دسائسه، وسجن ابن زيدون لأسباب سياسية، ومكث في السجن عامين، وهو ينظم الشعر في استعطاف ابن جهور من دون فائدة، وهو في الوقت نفسه لم ينس حب ولادة وهو يعاني عذاب السجن، فكان يرسل إليها القصائد ويؤكد حبه لها، كقوله:

مَتى أَبُثّكِ مَا بي

يا راحَتي وعذابي؟

مَتَى يَنُوبُ لِسَاني

في شَرْحِه، عن كتابي؟

اللَّهُ يَعْلَمُ أنّي

أصْبَحْتُ فِيكِ لِيّا بي

فلا يطيبُ طعامي

وَلا يَسُوغُ شَرَابي

ولما يئس من عفو أمير قرطبة عنه، لجأ إلى الفرار من سجنه، وأقام في ضاحية قرطبة، متواريًا عن الأنظار.

أما ولادة فقد بقيت في أول الأمر على حبها لابن زيدون، ولكن لم تستطع لقاءه لدواعٍ سياسية، فكتبت إليه أبياتًا أولها:

أَلا هَل لنا من بعد هذا التفرّق

سبيلٌ فيشكو كلّ صبّ بما لقي

ولم تلبث ولادة أن سئمت الانتظار، وكان الوزير ابن عبدوس مستمرًا في محاولة التواصل معها، حتى وجد قبولًا لديها فانصرفت إليه.

وفي تلك الأثناء مات أمير قرطبة ابن جهور، فعاد إليها ابن زيدون وانضم إلى ولده وكان صديقًا له، ولكن بعض الجفاء كان يسود علاقتهما، ولا سيما أن ابن زيدون أظهر ميلًا إلى جارية لولادة سمراء، تدعى سكرى، وهذا ما أغضب ولادة وبدأت الغيرة تستحكم بينهما، يصف لنا ابن زيدون تأثير غضبها وموقفها وقال:

فبتنا على العتاب، في غير اصطحاب، ودم المدام مسفوك، ومأخذ اللهو متروك، وهكذا انهار ذلك الحب.

وبالحبر على ورق الكافور كتبت ولادة لابن زيدون أبيات شعر تصف تلك الواقعة التي عصفت بحبها وهي تقرر هجره وتظن كل الظن أن ابن زيدون قد هوى جاريتها تقول فيها:

لَو كنت تنصفُ في الهوى ما بيننا

لم تهوَ جاريتي ولم تتخيّرِ

وَتركتَ غصناً مثمراً بجماله

وجنحتَ للغصنِ الذي لم يثمرِ

ولقد علمت بأنّني بدر السما

لَكن دهيت لشقوتي بالمشتري

واستغل ابن عبدوس ذلك فراح يتقرب إليها مرة أخرى، ولما كانت ولادة امرأة متقلبة، لا تعرف الإخلاص في الحب، ولها أشعار يشيع فيها العبث، كقولها:

أنا واللهِ أصلحُ للمعالي

وأمشي مِشيَتي وأتيهُ تِيها

أمكِّن عاشقي من صحنِ خدّي

وأمنحُ قُبلَتي من يَشْتَهِيها

فحتى ابن عبدوس لم تُخلص له في حبها، بل اتخذته هدفًا للعبث به والترويح عن نفسها، ومكايدة ابن زيدون، وهذا ما دفع ابن زيدون إلى إنشاء الرسالة الهزلية التي أرسلها إلى ابن عبدوس على لسان ولادة يهزأ به ويهجوه بكلمات قاسية.

وما لبث أن عاد الحسَّاد إلى مناوءة ابن زيدون، فتآمر ابن عبدوس على ابن زيدون حتى يبعده عن ولادة، ولما أُهدر دمه فرَّ بجلده من سجنه إلى إشبيلية ومن هناك كتب إليها قصيدته النونية ذائعة الصيت جاء في بعضها:

أضْحَى التّنائي بَديلاً عنْ تَدانِينَا

وَنَابَ عَنْ طيبِ لُقْيانَا تجافينَا

ألاّ وَقَد حانَ صُبحُ البَينِ، صَبّحَنا

حَيْنٌ، فَقَامَ بِنَا للحَيْنِ نَاعِينَا

مَنْ مُبلغُ الملبسِينا، بانتزاحِهِمُ

حُزْناً، معَ الدهرِ لا يبلى ويُبْلِينَا

أَنَّ الزَمانَ الَّذي ما زالَ يُضحِكُنا

أُنسًا بِقُربِهِمُ قَد عادَ يُبكينا

وعندما انتقل إلى إشبيلية اتصل بأميرها عبَّاد الملقَّب بالمعتضد، فجعله هذا وزيرًا له.

وفي زمن ولده المعتمد بن عبَّاد غزا ابن زيدون قرطبة وضمها إلى إشبيلية فزادت منزلته عند المعتمد بن عباد الذي جعل قرطبة عاصمة لإمارته.

توفي ابن زيدون في إشبيلية سنة 463 هـ وهو في التاسعة والستين من عمره.

أما ولَّادة فقد عاشت عزباء طوال حياتها، ولم تتزوج حتى بلغت الثمانين عامًا وقيل مائة، ثم توفيت سنة 480 أو 484 هـ، أي بعد وفاة ابن زيدون بعقدين من الزمن تقريبًا.

كان كل منهما يسعى لرؤية ذاته في روح الآخر، وكلما قرأنا رسائلهما ازددنا يقينًا بأن الحب الذي شدَّ جبران إلى مي وشغف مي بجبران لهو حب عظيم، بل عشق يكاد يكون صوفيًّا لأنه تخطَّى حدود الزمان والمكان.

مي زيادة وجبران خليل جبران

عشق.. بلا أمل

يعتبر جبران خليل جبران من الأدباء الذين آثروا فن المراسلة عند العرب، حيث أنه ترك مخزونًا من الرسائل لفتت نظر الباحثين، أغرتهم بدراستها لسبر أغوار عالم جبران المليء بالأسرار.

كان جبران في مغارب الأرض مقيمًا وكانت مي في مشارقها، كان جبران يقطن بالولايات المتحدة الأمريكية، وكانت هي في القاهرة، نشأ حبهما ونما عبر مراسلات أدبية وفكرية وروحية ألفت بين قلبين وحيدين، وروحين مغتربين.

كان طبيعيًّا أن يتعارف بطلا هذا الحب عن طريق الفكر والنشر، بعد أن أصاب كل منهما شهرة كبيرة.

كانت مي معجبة بمقالات جبران وأفكاره فبدأت بمراسلته عقب اطلاعها على قصته (الأجنحه المتكسرة) التي نشرها في المهجر عام 1912م، كتبت له تعرب عن أعجابها بفكره وأسلوبه، وتناقش آراءه في الزواج وقيوده، والحب وأطواره حسب رؤيته في هذه القصة التي قرأتها له، وتعرض عليه رأيها في وجهة نظره في حرية المرأة التي طالب بها والتي اتفقت معه في جانب وعارضته في جانب آخر منها.

حيث قالت: "لايصح لكل امرأة لم تجد في الزواج السعادة التي حلمت بها أن تبحث عن صديق غير زوجها، فلا بد أن تتقيَّد المرأه بواجبات الشراكة الزوجية تقيُّدًا تامًّا حتى لو هي سلاسل ثقيلة، فلو توصَّل الفكر إلى كسر قيود التقاليد فلن يتوصَّل إلى كسر القيود

الطبيعية لأن أحكام الطبيعة فوق كل شيء، وهذه تعتبر خيانة ولو في مظهرها طاهر، وتخون الهيئة الاجتماعية التي هي عضو عامل فيها".

ومن هنا كانت البداية ومن ثمَّ تواصلا بالرسائل، كان كل منهما يسعى لرؤية ذاته في روح الآخر، وكلما قرأنا رسائلهما ازددنا يقينًا بأن الحب الذي شدَّ جبران إلى مي وشغف مي بجبران لهو حب عظيم، بل عشق يكاد يكون صوفيًّا لأنه تخطَّى حدود الزمان والمكان.

وبدأت الصلة بين جبران ومي تتوثَّق شيئًا فشيئًا لأن لهجته في مخاطبتها تدرَّجت من التحفُّظ إلى التودُّد، ومن الإعجاب إلى الصداقة القوية، ومن ثمَّ إلى حب عام 1919م.

ما إن بلغ الحب ذروته حتى تعكَّر بسلسلة من الخلافات بينهما، التي عبَّر عنها جبران مرة وقال: هي المعاكسات التي تحوِّل عسل القلب إلى مرارة.

وقال: إن الغريب حقًّا في هذه الصلة تأرجحها بين الحب الجامح والفتور، بين التفاهم التام الذي كان يضفي عليهما شفافية روحية تغمرهما بالسعادة، وبين سوء التفاهم الذي كان يؤلمهما ويؤدي إلى القطيعة أحيانًا ولكن شدَّة ولع كل منهما بالآخر كانت تدفعهما للتصالح مجددًا.

وبالرغم من كل هذا الحب كان كل منهما يخشى التصريح بعواطفه؛ فتارة يلجأ جبران للتلميح ويرمز إليها ويضع عبارات وصور مبتكرة وجميلة.

فلم ينادِ جبران مي قط بقوله: حبيبتي.. ولم يخاطبها باللغة المألوفه للعشاق، فعبر عن حبه بما هو أبلغ، عندما قال: "أنت تحيين فيَّ، وأنا أحيا فيكِ"، ووصف علاقته بها بأنها أصلب وأبقى بما لايقاس من الروابط الدموية والأخلاقية، وبعد أن باح لها بحبه رجاها أن تطعم النار رسالته إذا لم تجد لبوحه الصدى المرجو في نفسها.

وكانت مي في حياة جبران الصديقة، والحبيبة الملهمة، وصلة الوصل بينه وبين وطنه، وأكثر ما أحبه فيها عقلها المستنير الذي تجلَّى في مقالاتها وكتبها، وأحب فيها حيها له، إعجابها بشخصيته، وعمله الأدبي والفني الذي كانت تتناوله بالتقريظ والنقد في مقالاتها في مصر.

وعلى الرغم من كل ما كتب عن علاقات جبران الغرامية من النساء مثل ماري هاسكل وميشلين، فإن حبه لمي كان الحب الوحيد الذي ملك قلبه وخياله ورافقه حتى نهاية حياته، فقد كان حبه لها معادلًا لحبه العارم لوطنه لبنان، وللدم العربي الذي يجري في عروقه، وهذا ما قاله في رسائل الشعلة الزرقاء.

ويميل المحللون للاعتقاد بأنه لم يكن يفكر في الزواج لاعتلال في صحته منذ شبابه، ومما لا شك فيه أن مي أحبَّت جبران حبًّا جعل المقارنة بينه وبين الذين خطبوا ودَّها أمرًا مستحيلًا، برغم من تردُّد مي في الإعراب عن مشاعرها وخشيتها في الانطلاق على سجيتها في مراسلته، وذلك لأن جبران كان يعيش في عالم متطور تحرَّرت نساؤه من التقاليد، ومي كانت مغلولة القلب والقلم بتأثير البيئة الشرقية التي عاشت فيها، ورغم ذلك جعلت من بيتها صالونًا أدبيًّا يلتقي فيه كل ثلاثاء رجال الأدب والفكر.

لقد تمنَّى جبران أن تتحرر مي من عقدها النفسية وشكوكها الشرقية، فقد عانت مي صراعًا نفسيًّا حادًّا في حبها لجبران سبَّب لها الشقاء ولجبران العذاب والإرهاق.

ولم تتجاوز مي تلك الحواجز والهواجس إلا بعدما تمت الخامسة والثلاثين، إذ استجمعت شجاعتها وكتبت له أجمل رسالة حب يمكن أن تخطَّها امرأة لرجل، فقالت في إحدى رسائلها له:

"جبران..

لقد كتبت كل هذه الصفحات لأتحايد كلمة الحب، إن الذين لا يتاجرون بمظهر الحب ينمّي الحب في أعماقهم قوة ديناميكية رهيبة قد يغبطون الذين يوزّعون عواطفهم في اللألأ السطحي لأنهم لا يقاسون ضغط العواطف التي لم تنفجر، ويفضلون تضليل قلوبهم عن ودائعها، والتلهي بما لا علاقة له بالعاطفة، يفضلون أي غربة، وأي شقاء (وهل من شقاء وغربة في غير وحدة القلب) على الاكتفاء بالقطرات الشحيحة.

ما معنى هذا الذي أكتبه؟ إني لا أعرف ماذا أعني به! ولكني أعرف أنك (محبوبي) وأني أخاف الحب، أقول هذا مع علمي بأن القليل من الحب كثير.. الجفاف والقحط واللا شيء بالحب خير من النزر اليسير، كيف أجسر على الإفضاء إليك بهذا، وكيف أفرّط فيه؟ لا أدري، الحمد لله أني أكتبه على ورق ولا أتلفَّظ به، لأنك لو كنت حاضرًا بالجسد لهربت خجلًا بعد هذا الكلام، ولاختفيتُ زمنًا طويلًا، فما أدعك تراني إلا بعد أن تنسى، حتى الكتابة ألوم نفسي عليها أحيانًا لأني بها حرة كل هذه الحرية.. قل لي ما إذا كنت على ضلال أو هدى.. فإني أثق بك، وأصدق بالبداهة كل ما تقول! وسواء كنت مخطئة فإن قلبي يسير إليك، وخير ما يفعل هو أن يظل حائمًا حواليك، يحرسك ويحنو عليك.

غابت الشمس وراء الأفق، ومن خلال الأشكال والألوان، حصحصت نجمة لامعة واحدة هي الزهرة، أترى يسكنها كأرضنا بشر يحبون ويتشوَّقون؟ ربما وجد فيها من هي مثلي، لها جبران واحد، تكتب إليه الآن والشفق يملأ الفضاء، وتعلم أن الظلام يخلف الشفق، وأن النور يتبع الظلام، وأن الليل سيخلف النهار، والنهار سيتبع الليل مراتٍ كثيرة قبل أن ترى الذي تحبه.. فتتسرَّب إليها كل وحشة الشفق،

وكل وحشة الليل، فتلقي القلم جانبًا لتحتمي من الوحشة في اسم واحد: جبران ".

مي زيادة

وضعت مي في تلك الرسالة كل مشاعرها تجاه جبران، عبَّرت عن حبها ولهفتها، عن خوفها ورهبتها، عن قلقها وشوقها واستنكارها لاستحالة اللقاء، ومن ثم استحالة وجود مستقبل لهذا الحب.

صورت مي في تلك الرسالة وجسَّدت روحها العاشقة، ما أثلج صدر جبران كثيرًا، وفرح لتجاوبها مع مشاعره النبيلة، ولقد عبَّر جبران عن ذلك في عدة رسائل.

ومنذ تلك اللحظة تحوَّلت رسائل جبران ومي لمدرسة عشق خالدة سيتحدث عنها الجميع على مرِّ الزمان، سيذيع سيط رسائلهما الغرامية عبر المعمورة كلها، وستتحدى حواجز الزمان والمكان لتمثل أيقونة أو تميمة ليس فقط للروعة الأدبية التي حوتها رسائلهما، وإنما وصفهما لأجمل مشاعر حبٍّ خالد سيبقى أسطورة، وستصير أيضًا نموذجًا لأدب فنِّ المراسلة يستحق القراءة والدراسة.

فسنجده هنا مثلا قد ردَّ جبران على رسالة مي.. بتلك الرسالة الرقيقة العميقة المعنى من جبران إلى مي.

"نيويورك 26 شباط 1924

يا مي عيدك يوم.. وأنت عيد الزمان.. انظري يا محبوبتي العذبة إلى قدس أقداس الحياة، عندما بلغت هذه الكلمة ((رفيقة)) ارتعش قلبي في صدري، فقمت ومشيت ذهابًا في هذه الغرفة كمن يبحث عن رفيقه. ما أغرب ما تفعله بنا كلمة واحدة في بعض الأحايين! وما أشبه

تلك الكلمة الواحدة برنين جرس الكنيسة عند الغروب! إنها تحوّل الذات الخفية فينا من الكلام إلى السكوت، ومن العمل إلى الصلاة.

ما أغرب ما تفعله كلمة واحدة في بعض الأحيان، إنها تحوّل الذات الخفية فينا من الكلام إلى السكوت.. تقولين إنك تخافين الحب! لماذا تخافينه؟ أتخافين نور الشمس؟ أتخافين مدَّ البحر؟ أتخافين طلوع الفجر؟ أتخافين مجيء الربيع؟ لماذا يا ترى تخافين الحب؟

أنا أعلم أن القليل في الحب لايرضيكِ، كما أعلم أن القليل في الحب لا يرضيني، أنتِ وأنا لا ولن نرضى بالقليل، نحن نريد الكمال.. الكثير، كلَّ شيء! لا تخافي الحب يا رفيقة قلبي، علينا أن نستسلم إليه رغم ما فيه من الألم والحنين والوحشة، ورغم ما فيه من الالتباس والحيرة".

وعندما قرأت مي تلك الرسالة ارتاحت لتلك اللهجة، وتشجعت على الإفضاء إليه بخوالج نفسها وهمومها.. فقد كان همها أن يبقى جبران حبيبها الأوحد لتدوم تلك الشعلة الزرقاء منهلًا للنعيم والنور في حياتها، وأضحت مي شديدة القلق على صحة جبران في سنوات عمره الأخيرة كما يبدو جليًّا في رسائله إليها، وقد وصف جبران أسلوبها ورسائلها فقال إنها "كالنهر الرحيق الذي يتدفَّق من الأعالي ويسير مترنِّمًا في وادي أحلامي، بل كقيثارة التي تقرب البعيد وتبعد القريب، وتحول بارتعاشاتها السحرية الحجارة إلى شعلات متَّقدة، والأغصان اليابسة إلى أجنحة مضطربة".

ويتبادر إلى الذهن هنا سؤال ملحٌّ.. هل كان أحد يعلم بكل هذا أم أن تلك المراسلات هي التي أفصحت لنا غن قصة عشق ربما كان سيطويها النسان لولا أن صرحت مي وأظهرت تلك الرسائل بعد وفاة جبران؟

ربما يكون أهل مي وبعض المقربين منها قد اطلعوا على صلتها بجبران في حياتها، ولكن المرجَّح أنها كانت حريصة على إخفائها عن الناس جميعًا، وأبقتها سرًّا دفينًا في نفسها حتى ذلك اليوم الذي فُجعت بموته عام 1931م، فبعد انقضاء شهر على وفاته اعترفت ميّ لقرائها بوجود مراسلة طويلة بينها وبين جبران، وذلك في مقالة (جبران خليل جبران يصف نفسه في رسائله) ضمَّنتها فقرات قصيره من رسائله إليها، وعبَّرت عن حزنها العميق عليه مصوِّرة غربتها وغربته في الوجود بعبارات موجعة قالت فيها:

"... حسنًا فعلت بأن رحلت! فإذا كان لديك كلمة أخرى فخير لك أن تصهرها وتثقفها، وتطهرها لتستوفيها في عالم ربما يفضل عالمنا هذا في أمور شتَّى".

وفي ختام ذلك المقال المؤثِّر الفائض بالحب واللوعه واليأس، أعربت مي عن شوقها للرحيل، ولكن مشيئة القدر فرضت عليها أن تعيش بعد جبران عشر سنوات تقريبًا كانت أسوأ مرحلة في حياتها.

فقد استبدَّ بها الحزن، وعاشت في غمرة الأحزان تمزقها الوحدة، وأصيبت بانهيار عصبي، تبعه انهيار في صحتها، فاعتزلت الناس، ولقد أرسلت في تلك الفترة إلى قريب لها في بيروت دكتور يدعى جوزيف زيادة رسالة مؤثرة وصفت آلامها واعتلال صحتها، وبسبب تلك الرسالة تم إرسالها إلى لبنان - موطنها الأصلي - وأدخلت إلى مصحة الأمراض العقلية ما طعنها في كرامتها، وقضت ثلاث سنوات متنقلة بين (العصفورية) كما يسمونه، ومصح دكتور بيريز، وبين بيت متواضع، إلى أن هبَّ أقاربائها لإنقاذها، وعادت إلى القاهرة، وعاشت بعدها سنتين ونصف، ثم ذوت شيئًا فشيئًا وتوفيت عام 1941م.

وجدير بالذكر، أن مي عندما كانت في لبنان حملت رسائل جبران معها، وكانت تلجأ إليها على انفراد، حين يشفُّها الوجد، وصورة لجبران، كتبت بخطها إلى جانب الصورة:

"وهذه مصيبتي منذ أعوام".

وهكذا دام حب مي وجبران نحو العشرين عامًا دون أن يلتقيا! دام واستمرَّ في مراسلاتهما الأدبية التي كانت في البداية رسائل لتبادل الأفكار بين صديقين يجمعهما فكر واحد واهتمامات واحدة، وسرعان ما تحولت لنصح وإرشاد، ثم لهفة وحب، حتى صارت مراسلاتهما أيقونة الحب في كل زمان ومكان.

حب نشأ بين امرأة في مشارق الأرض ورجل في مغاربها.

كان حب مي وجبران حب فريد لا مثيل له في تاريخ الأدب، أو في سير العشاق، مثال للحب النادر المتجرّد عن كل ما هو مادي وسطحي.

ثنائيات.. عالمية

هي قصة حب يونانية قديمة أكثر ما تمثل الحب الميئوس منه، ليس لدينا تفاصيل كثيرة عنها، ولكن من الجمل القليلة المكتوبة عنهما في أدبيات العشق، تعد قصتهما من القصص الغريبة والمثيرة للعشق حتى الموت.

أورفيوس وإيريودايس

عشق.. حتى الموت

هي قصة حب يونانية قديمة أكثر ما تمثل الحب الميئوس منه، ليس لدينا تفاصيل كثير عنها، ولكن من الجمل القليلة المكتوبة عنهما في أدبيات العشق، تعد قصتهما من القصص الغريبة والمثيرة للعشق حتى الموت.

فقد وقع أورفيوس في غرام إيريودايس وتزوجها، وعاشا حياة هانئة، مثل الكثير من قصص الحب والزواج الاعتيادية، ولكنهما كانا يهيمان ببعضهما شغفًا، وعاشا حياتهما قصة حب لا تنتهي، حتى رأى إيريودايس أحد الإقطاعيين اليونانيين فأحبها هو الآخر حبًّا شديدًا، وأصرَّ على أن يظفر بها بأي طريق كان، وبينما كان يطاردها ذات يوم وقعت في حوض من الأفاعي وماتت مسمومة.

أصيب زوجها بإحباط وحزن شديدين بعدها وقضى بقية سنوات حياته ينشد الأغاني الحزينة حتى مات.

جاء ماركوس أنطونيوس إلى مصر وجاءته كليوباترا خفيةً لخوفها من ثورات المصريين ضدها، وكانت مختبئة في سجادة وخرجت منها أمامه كعروس البحر، وهي في أبهى صورها، ومنذ تلك اللحظة ملكت كليوباترا قلب أنطونيوس وخلبت لبه.

كليوباترا ومارك أنطونيو

صراع السلطة.. أم صراع الحب

قصة الحب الحقيقي التي ربطت كليوباترا السابعة، آخر الملوك البطالسة لمصر، وأنطونيوس، تعتبر من أشهر قصص الحب التي لا تنسى، وتمثِّل العلاقة بين هاتين الشخصيتين اختبارًا حقيقيًّا للحب، لقد وقعا في الحب من أول نظرة، لكن هذه العلاقة بين القائد الروماني ماركوس أنطونيوس المعروف بأنطونيو، وملكة مصر، أثارت غضب الرومان الذين كانوا يخشون من تنامي قوة المصريين، وعلى الرغم من كل التهديدات، تزوَّجا.

كان مارك أنطونيوس قائدًا وسياسيًّا، ولد بروما، كان من أهم مساعدي يوليوس قيصر كقائد عسكري وإداري، بعد اغتيال قيصر في روما، انقسمت المملكة بين أعظم قواده أكتافيوس وأنطونيوس، فقرر أكتافيوس أن يضم مصر إلى الإمبراطورية الرومانية، لكن كان أمامه الكثير من العواقب، ومن أشدها ماركوس أنطونيوس، الذي أراد أن ينفرد بحكم الإمبراطورية الرومانية، ومن ثمَّ فكرت كليوباترا أن تصبح زوجة لماركوس أنطونيوس الذي قد يحكم في يوم ما الإمبراطورية الرومانية.

إذ جاء ماركوس أنطونيوس إلى مصر وجاءته كليوباترا خفيةً لخوفها من ثورات المصريين ضدها، وكانت مختبئة في سجادة وخرجت منها أمامه كعروس البحر وهي في أبهى صورها، ومنذ تلك اللحظة ملكت كليوباترا قلب أنطونيوس وخلبت لبَّه.

وبينما كانت كليوباترا الملكة الفاتنة التي كانت تستخدم فتنتها للإيقاع بأنطونيو وتضع الخطط للزواج به لتصير ملكة على مصر، كان الرومان لهم رأي آخر، وبالأخص أكتافيوس الذي فطن لخطتها

واستدعى أنطونيو بحجة مساعدته في حربه مع بومبيوس، وهناك أصر على أن يزوجه من أوكتافيا أخت أوكتافيوس (أغسطس) بحجة أن الرومان منع عليهم التزوج بغير رومانية.

وهنا ظهرت مشكلة ارتباطه بكليوباترا، ومن ثمَّ تغير الوضع وأصبح حليفًا لها بدل من أن يضم مصر للإمبراطورية الرومانية، وكان ذلك سببًا في العداوة بين أغسطس وأنطونيوس.

وتم تقسيم الإمبراطورية الرومانية إلى شرق وغرب، وكان الشرق بما فيه مصر من نصيب أنطونيوس، وكان طبيعيًّا أن تصبح كليوباترا تحت سلطة السيد الجديد أنطونيوس، فلم تنتظر حتى يأتي إليها في الإسكندرية، ولكنها أبحرت على متن سفينة فرعونية ذهبية مترفة من الشواطئ المصرية.

وكان أنطونيوس قد أرسل في طلبها عام 41 ق.م عندما وصل إلى مدينة ترسوس في قيلقية، وذلك ليحاسبها على موقفها المتردد وعدم دعمها لأنصار يوليوس قيصر.

أعجبت كليوبترا بأنطونيوس ليس فقط لشكله - إذ كان وسيمًا - لكن أيضًا لذكائه؛ لأن كل التوقعات في هذا الوقت كانت تؤكد فوز أنطونيوس، من ثم أعد أنطونيوس جيشًا من أقوى الجيوش وتابعت كليوباترا الجيش عن كثب، وتابعت خطة الحرب التي دارت رحاها في مدينة أكتيوم، ولكن على عكس ما كان متوقَّع خسر أنطونيوس المعركة.

وعملت كليوباترا كل ما في وسعها لتفادي الكارثة بعد وصول أنباء الهزيمة إلى مصر، وقام أنطونيوس بمحاولة للتصدي لقوات أكتافيوس - قيصر روما الجديد - التي وصلت إلى مشارف الإسكندرية.

ويقال إنه في ذلك الوقت تلقى أنطونيوس أنباء كاذبة عن موت كليوباترا فانتحر بسيفه مفضلًا الموت على أن يعيش الحياة بدونها.

وحين علمت كليوباترا بموته شعرت بصدمة شديدة ولم تحتمل ذلك فانتحرت هي الأخرى بأشهر طريقة انتحار على مرِّ التاريخ، إذ قبَّلت ثعبانًا سامًّا.

وقد جسَّد شكسبير هذه القصة، التي تخلد الحب بين شخصيتين تاريخيتين، في مسرحية مأساوية بعنوان أنطونيو وكليوباترا.

ظل جستنيان بعد وفاة ثيادورا على وفائه بعهدها لفترة طويلة واستمر في إصلاحات كانت تنادي وتقوم بها، وهي بذلك تعد من أفضل السياسيات اللائي أنجبتهن الإمبراطورية البيزنطية؛ حتى وإن لم تكن هي الإمبراطورة رسميًا.

ثيادورا وجستنيان الأول

ثيودورا.. أشهر من حكمن بلا حكم

كانت ثيادورا زوجة الإمبراطور جستنيان أشهر أباطرة الدولة البيزنطية في القرن السادس الميلادي، وما كتب عن هذه الإمبراطورة في الأعمال الأدبية قصص تكاد تكون من نسج الخيال، فالمعروف عنها أن جمالها كان مبهرًا، وأنها نشأت في بيئة متواضعة، وكانت تعمل في بداية حياتها كراقصة وغانية لتكفل نفسها، ويقال ممثلة في سيرك، وفي روايات أخرى راقصة غجرية تجوب الشوارع، حتى لفتت نظر أحد رجال الدولة فاتخذها عشيقة له لعدة سنوات، فرَّت منه ومرت عبر أراضي الإمبراطورية البيزنطية منها مصر، حيث عملت في غزل الصوف إلى أن وقعت أعين جستنيان ولي عهد بيزنطة عليها في إحدى المناسبات، فأولع بها وأحبها حبًّا جمًّا، وتزوجها بالفعل ضد كل قواعد القصر، بل وتعامل مع أولادها على اعتبارهم من الأسرة المالكة.

هذا ما ورد في الروايات الأدبية عن ثيادورا ولكن كان للمؤرخون رأي آخر عنها، فيقولون: ولدت ثيادورا في مدينة منبج في مطلع القرن السادس ولم يذكر المؤرخون الكثير عن حياتها الأولى فكل ما كتب عنها يتحدث عن فترة كونها قيصرة، ووالدها قسيس سرياني أرثوذوكسي رباها تربية صالحة.

ويصفها المؤرخ الرَّهاوي بقوله: كانت ثيادورا فتاة رائعة الجمال زينها الله بمحاسن الجسم والنفس.. وبفضل ذلك ذهبت لها شهرة واسعة في مدينتها فنظر إليها مواطنوها نظرة احترام.

أما زواجها من القيصر جستنيان فقد تحدث عنه المؤرخون السريان بوضوح وصراحة، وقالوا: مرَّ جستنيان بمنبج، وهو في طريقه إلى محاربة الفرس، فبهرته أخبار جمال ثيادورا وفضائلها وذكائها فقرَّر الزواج منها، وطلب يدها من والدها، فلم يوافق القسيس على هذا الزواج إلا بعد أن عاهده الملك عهدًا وثيقًا بأنه لن يجبرها على تغيير مبادئها الإيمانية.

وكان الدستور البيزنطي يخوِّل للإمبراطورة جميع الحقوق التي يتميز بها الإمبراطور نفسه، ولذلك نجد جستنيان قد منح صلاحيات عظمى لزوجته، وسلَّطها على كل شيء، وكان لها حق في النظر في جميع شئون البلاد، حتى يصفها بعض المؤرخين بأنها كانت إمبراطورة مطلقة.

وإن كانت اختلفت الروايات حول أصل ونشأة ثيادورا بين روايات الأدب والمؤرخين إلا أن دورها في الإمبراطورية البيزنطية كزوجة للإمبراطور جستنيان لها دور واضح في إعانة زوجها لا خلاف عليه.

فيذكر المؤرخون عنها أنها كانت ذات حكمة وصلابة وشجاعة، استطاعت فرض احترامها على الجميع، وكانت تكاتب سفراء الدولة وترشدهم إلى السلوك القويم.

وكانت شديدة الحرص على الأخلاق العامة في العاصمة وخارجها، فحاربت الرذيلة، وكانت تعاقب بذاتها الزوجات الخائنات لأزواجهن، وكانت تصدر الأوامر للمستهترات بالعودة إلى حياة الفضيلة وتربية الأطفال تربية صالحة، إلى جانب هذا كله كانت علاقتها بزوجها علاقة مميزة، كما عرف عنها تدينها.

وعند تعيين جستنيان إمبراطورًا في عام 527م، كانت ثيودورا بالفعل أقوى نفوذًا عليه، وكان لها دورها المباشر في إدارة الإمبراطورية

سياسيًّا واجتماعيًّا واقتصاديًّا، حيث إنها كانت امرأة ذات رؤية سياسية واسعة، وتجلَّى دورها في ثورة «النيكا Nika» عندما تعرضت القسطنطينية لتمرد وثورة عارمة في 532 تزعَّمتها طائفتا «الزرق» و«الخضر»، اللتان مثَّلتا أطيافًا وطبقات اجتماعية مختلفة.

وقد طالبت هذه الحركة القوية بالتخلُّص من الإمبراطور جستنيان لصالح أمير آخر في البلاد، وبدأت بالفعل حالة من القلق تنتشر في القسطنطينية وبين الإمبراطور وبعض جنرالاته، حتى قرروا الهروب الفوري من خلال الإبحار ليلًا للنجاة من الثوَّار، ولكن ثيادورا كان لها دورها المهم في التصدِّي لزوجها وجنرالاته وإقناعهم بضرورة البقاء وعدم التخلي عن الحكم بل وتحسين إدارة البلاد، ولولا تدخلها لعاش جستنيان طريدًا باقي عمره، وما كان له أن يبدأ قصة عملية الإصلاح التي بادر بها بدعم من زوجته.

وقد لعبت ثيادورا دورًا مهمًّا للغاية في إعادة بناء مدينة القسطنطينية مرة أخرى بعد الدمار الشامل الذي لحقها، ثم كان لها دورها البارز في السعي للتوفيق بين المذهب الأرثوذكسي والمذاهب الدينية المسيحية المنادية بالطبيعة الواحدة للسيد المسيح ومنهم الأقباط، كما أنها لعبت دورًا مهمًّا للغاية في مسألة حقوق المرأة وكفالتها، إضافة إلى دورها البارز في تجميع القوانين الرومانية فيما عرف بـ«كود جستنيان»، بل ويقال إن بعد موتها ظلَّ جستنيان على وفائه بعهدها لفترة طويلة واستمر في إصلاحات كانت تنادي وتقوم بها، وهي بذلك تعد من أفضل السياسيات اللائي أنجبتهن الإمبراطورية البيزنطية، حتى وإن لم تكن هي الإمبراطورة رسميًّا.

تعد قصة لانسيلوت وجوينفير التيمة الثابتة لعدد من الكتابات التي استمدَّت من وحي هذا العصر والذي سمي في الأدب العصر الآرثري لكثرة ما تناقلته الألسن عن تكرار مثل تلك الحوادث، الملك الذي يتزوَّج بإحدى أميرات بيوت الإنجليز أو الأيرلند ويرسل فارسه المقرب لاستحضارها، فيقعان في غرام بعضهما البعض.

لانسيلوت وجوينفير

الفارس الأول.. وزوجة الملك

الحب المأساوي، الذي ربط بين السير لانسيلوت والملكة جوينفير، ربما يجسد أشهر قصص الحب في التاريخ، فقد وقع لانسيلوت في غرام الملكة جوينفير زوجة الملك آرثر. وتطورت علاقة الحب بينهما ببطء وسرية، لكن الملكة لم تستطع صبرًا وأعلنت عشقها له ثم هربا معًا.

وذات ليلة هاجمت مجموعة تابعة للملك مؤلفة من 12 فارسًا، بيت العاشقين، فتمكن لانسيلوت من الفرار، لكنهم ألقوا القبض على جوينفير فحُكم عليها بالموت حرقًا بتهمة الزنا. وبعد أيام، عاد لانسيلوت لإنقاذها من الحرق. وحين ألقي القبض عليه انقسم الفرسان بين من يريد قتلهما ومن يريد العفو عنهما، ما أضعف حكم الملك آرثر؛ لأن السائد بذلك العصر أن يكون الحكم بأغلبية أصوات مجلس الفرسان.

وانتهى الأمر بالعشيقين بالعيش في كنيسة بائسة، وتعد قصة لانسيلوت وجوينفير التيمة الثابتة لعدد من الكتابات التي استمدَّت من وحي هذا العصر والذي سمي في الأدب العصر الآرثري لكثرة ما تناقلته الألسن عن تكرار مثل تلك الحوادث، الملك الذي يتزوج بإحدى أميرات بيوت الإنجليز أو الأيرلند ويرسل فارسه المقرب لاستحضارها، فيقعان في غرام بعضهما البعض، وتختلف بعض التفاصيل من قصة لأخرى، ولكن تبقى تلك هي التيمة الثابتة التي تلهب خيال الروائيين.

وتقول الروايات إنه كان يعتزم بناء قصر مواجه لتاج محل ليكون ضريحًا له شخصيًّا، ومقابلًا لضريح زوجته، ولكن مع وجود فارق بينهما، وهو أن الأول ضريح تاج محل من الرخام الأبيض أما ضريحه هو فسيكون باللون الأسود، بحيث يربط بينهما جسر كبير.

شاه جاهان وممتاز محل

الأثر الخالد

في عام 1612 تزوَّجت الشابة الصغيرة أرجو ماند بانو، ووالدها كان شقيقًا لنور جهان زوجة السلطان، بالشاب شاه جاهان ابن الخامسة عشرة، والذي كان يعرف وقتها باسم الأمير حزام شهاب الدين، والذي صار فيما بعد حاكم إمبراطورية المغول والإمبراطور الخامس لها.

وكان في تقليد المغول النساء المهمَّات في العائلة المالكة يُمنحن أسماء أخرى عند الزواج وفي بعض الأحداث المهمة في حياتهن، وبعد ذلك يشيع الاسم الجديد، ويصير مستخدمًا من قبل الناس عامة، فتغير اسمها إلى ممتاز محل، وقد أنجبت منه 14 طفلًا، وربطت علاقة حب متينة بين الزوجين.

وعلى الرغم من أن هذا الزواج كان الثاني للشاه، إلا أنه كان نابعًا من قصة حب حقيقية وتجربة عاطفية، وكانت ممتاز رفيقة دائمة لزوجها لا تتركه في كل رحلاته وسفرياته وجولاته وزياراته ومهماته العسكرية، بل ومستشارته وصديقته، وكانت الدافع القوي لقيامه بالكثير من أعمال الخير والبر، وخاصة مع الضعفاء والفقراء والمحتاجين.

إلا أن ممتاز محل عاشت لحظات بؤس بسبب الوشايات والدسائس التي تمت داخل القصر، والتي كان هدفها الوشاية بينهما، إلا أن حبهما لم يتأثر بكل هذه المؤامرات، فقد عاش الزوجان شاه جهان وممتاز طوال 19 عامًا من المودة والمحبة حتى كان يضرب بهما المثل، إلا أنه وفي عام 1630 قام الزوج بحشد قواته بكل ما لديه من إمكانيات عسكرية وبشرية، وبدأ حملة عسكرية ضد ابنه والوريث لمملكته وحكمه في منطقة ديكان، وقد شاء القدر أن يمنحه النصر على

التمرد والسيطرة عليه، ومن المعروف أنه كلما ازدادت الانتصارات تزداد المكائد، فقد استطاعت نور جهان زوجة والد الأميرة، أن تدبر مكيدة مخططة بشكل جيد لمحاولة التفريق بينهما حيث أرسلت مبعوث بمهمة خبيثة تمثلت في تدبير لقاء بين الأميرة وبين أحد الطامعين في العرش، لكي يشي بها أحد أعوانه ويقتنع بخيانتها له، وبالفعل تمت المكيدة ونجحت فى التوقيع بينهما، فقرر الزوج الخلاص من زوجته؛ إلا أنه عدل عن ذلك وآثر حبسها عقابًا لها، وطلبت منه أن يفعل بها ما يشاء بشرط أن يستمع إليها وروت له دسائس نور جهان، لكنه استمر في حبسه لها.

وفي أحد الأيام كان شاه جهان في جنوب الهند لوقف تمرَّد بعض الخارجين عن حكم الإمبراطورية، وصله نبأ يؤكد أن زوجته تعاني من آلام وضع غير طبيعية، وبعد أن وصل إليها وشعر بقسوة ما كان منه مقابل الحب والعطف من هذه الزوجة الحانية، بادلها بعبارات الوفاء والإخلاص، ودَّعته بعبارات الحب والتضحية، وماتت على فراش الولادة في العام 1630، فحزن جاهان عليها حزنًا شديدًا، وقرر تخليد ذكراها ببناء قبر عظيم لها أسماه تاج محل، والذي استغرق بناؤه 20 عامًا، وشارك في بنائه أكثر من 20 ألف عامل وألف فيل .

وكان للظروف الحزينة التي أعقبت موت الإمبراطورة أعمق الوقع وأبلغ الأثر في إلهام الإمبراطور لتشييد هذا القصر الكبير الذي أقامه في أكرا عاصمة المغول، ولم يكن غريبًا بناءه في مثل هذه المدينة الجميلة، حيث تنتشر فيها القلاع الجميلة ذات الأحجار الحمراء التي قام ببنائها الأباطرة المغول، وقد كان بناء هذه التحفة المعمارية مشروطًا بتنفيد أربعة أشياء طلبتها ممتاز من زوجها بعد موتها وتعكس جميعها مدى الحب وعمق الشعور التي كانت تكنُّه له، وهي: أن يبني

تاج محل، أن يتزوج بعدها، أن يحسن معاملة أبنائه،أن يقوم بزيارة الضريح في الذكرى السنوية لوفاتها.

ولكن - وللأسف - لم يستطع شاه جهان الوفاء إلا بالوعدين الأول والثاني حيث اعتقل لمدة ثماني سنوات توفي في آخرها في القلعة الحمراء الكبيرة التي تقع أمام تاج محل، وكان ينظر يوميًّا إلى هذا الصرح الخالد ويبكي، لا يبكي على زوال عرشه وخلعه من الحكم بقدر بكائه على وفاة زوجته الغالية التي لم تستطع امرأة سواها أن تمنحه الحب الذي منحته إياه، ولم يستطع أي شيء في العالم أن يعوضه الحنان الذي افتقده بعد وفاتها وهي تضع له ابنه الرابع عشر، ومنذ تلك اللحظة أخذ السلطان على نفسه عهدًا بتخليد ذكراها في أحسن صورة، وقد كان ذلك بالفعل تاج محل يعتبر بحق أبهى وأجمل قصر يعيش قصة حب ووفاء خلَّدها التاريخ.

وتقول الروايات إنه كان يعتزم بناء قصر مواجه لتاج محل ليكون ضريحًا له شخصيًّا، ومقابلًا لضريح زوجته، ولكن مع وجود فارق بينهما، وهو أن الأول ضريح تاج محل من الرخام الأبيض، أما ضريحه هو فسيكون باللون الأسود بحيث يربط بينهما جسر كبير. ولكن تأتي الرياح بما لا تشتهي السفن، ولم يتحقق هذا الحلم؛ إذ قام أحد أبنائه بالحجر عليه واعتقاله بعدما قاد انقلابًا ضده وسيطر على العرش الملكي، وبالتالي قام بسجن والده في قصره المقابل لضريح تاج محل حتى توفي، إلا أنه - وبدوافع إنسانية - اقترح بعض أعوان الإمبراطور الجديد دفنه بجوار زوجته، ليروي هذا الصرح أروع قصص الحب والوفاء والغفران، ويصبح بحق أحد عجائب الدنيا.

تزوج إلوايز وإيبلارد سرًّا، وحين عرف فولبيرت بالأمر، استخدم أحد الخدم لخصي إبيلارد وهو نائم، فأصبح إبيلارد راهبًا بعد ذلك الحادث، وتفرغ لدراسة اللاهوت وكتاباته الفلسفية، وتحولت ألويز أيضًا إلى راهبة، وعاش الحب بينهما من خلال الرسائل.

إيلوايز وإبيلارد

رسائل محترقة

هذا الثنائي أيضًا تشبه قصتهما إلى حدٍّ كبير كلًّا من قصتي مي وجبران، وتشايكوفسكي وداجيلدا، من حيث أنها قصة حب خلَّدتها رسائل الحب التي تبادلاها، وأصبحت مشهورة على نطاق عالمي.

لقد ذهب بيتر إبيلارد للدراسة في باريس في عام 1100 ميلادية، واكتسب شهرته كفيلسوف، والتقى إبيلارد في مدرسة نوتردام بإيلوايز أرجينتيل أو هيلويز التي كانت المعلمة الخصوصية لابنة أخت فوليرت أسقف نوتردام، وكانت إيلوايز باحثة أكاديمية فرنسية ورئيسة دير للراهبات، وكانت تحت رعاية عمها "فولبيرت" الذي يحتل مكانة دينية عالية في كنسية نوتردام في باريس، والتي حصل عليها بتعيين من قبل البابا.

وعندما كانت في سن المراهقة حصلت على منحة دراسية فأصبحت طالبة لبيير إبيلارد (أو بيتر إبيلارد) والذي كان واحدًا من مشاهير المعلمين في المنطق ومن أكابر الفلاسفة في باريس، فارتبطا بعلاقة حب عميقة.

ونلحظ في رسائلها إشارات واضحة إلى أن عائلتها كانت أدنى مكانة اجتماعية من عائلة المعلم والحبيب الفيلسوف إبيلارد، والذي كان في الأصل من النبلاء. إلا أنه تخلى عن الفروسية واختار الفلسفة وأصبح فيلسوفًا فيما بعد. وعلى الرغم مما أشارت إليه رسائل إلويزا، فإن المصادر التاريخية ترى أن العديد من أفراد عائلتها كانوا من الأثرياء، وكان للبعض منهم مكانة مرموقة في المجتمع آنذاك.

وكان لقصة حب إيبلارد وعلاقته بطالبته إلوايز أثرًا كبيرًا في تحويل مجريات حياته وتفكيره وكتاباته، فقد راسل إلوايز وراسلته وتُرجمت الرسائل تلك إلى العبرية واللاتينية، وكتب سيرته الذاتية بعنوان "تاريخ المحنة" أو "قصة حظي السيئ"، وخصوصًا أطراف من مأساة حياته وحياة إلوايز وولدهما إسترلاب. وهي القصة التي رفعتهما إلى مقام الأسطورة.

كان إلوايز وإيبلارد قد تزوَّجا سرًّا وأنجبا إسترلاب، وحين عرف فولبيرت بالأمر، استخدم أحد الخدم لخصي إبيلارد وهو نائم، فأصبح إبيلارد راهبًا بعد ذلك الحادث، وتفرَّغ لدراسة اللاهوت وكتاباته الفلسفية، وتحوَّلت حبيبته ألوايز أيضًا إلى راهبة، وعاش الحب بينهما من خلال الرسائل.

لم تكن بولين غاية في الجمال إلا أنها كانت تتصف بخصال لعلها أشد تأثيرًا من الجمال نفسه، وهي الجاذبية الأنثوية والذكاء والثقافة الواسعة وكانت متمكنة في حسن الحديث ساحرة فيه، وتمرَّست في شئون الموسيقى والأدب والشعر والرقص.

هنري الثامن وآن بولين

امرأة غيرت تاريخ مملكة

تعد قصة زواج الملك هنري الثامن ملك إنجلترا وآن بولين هي الأغرب، ليس لكونها كانت وصيفة زوجته التي طلَّقها من أجل عيون آن التي لم تكن جميلة، ولكن لأن هذا الملك الطاغية أسرته امرأة، فغيَّر من أجلها مذهبه الديني، وانقلب على سلطة الكنيسة.

تناول الكثيرون قصة هنري الثامن وزوجاته البائسات، وتلك التي أتت لتشعل قلبه حبًّا، ولكن يعد أشهر من كتب وجسَّد هنري الثامن هو الكاتب والشاعر الإنجليزي ويليام شكسبير.

ولد هنري الثامن في مدينة جرينيتش في 28 يونيو 1491، وهو الابن الثالث للملك هنري السابع، حكم إنجلترا منذ 21 أبريل 1509 وحتى وفاته، ولورد أيرلندا ثم ملكها بعد ذلك، والمطالب بحقه في تاج مملكة فرنسا، كان ثاني ملوك أسرة تيودور خلفًا لوالده.

كان هنري الثامن جذابًا متعلمًا بارعًا في الخطابة، ويعده البعض أحد أكثر الحكام الذين جلسوا على عرش إنجلترا كاريزما.

أدت رغبته في إنجاب وريث ذكر لعرشه، لاعتقاده أن البنات لا يصلحن للحكم والمحافظة على وحدة أسرة تيودور وفرض السلام الذي تحقق بعد حرب الوردتين، إلى شيئين خلَّدا ذكر هنري الثامن: زيجاته الست، والإصلاح الإنجليزي، والذي حوَّل إنجلترا إلى أمة معظمها من البروتستانت، وفي نهاية حياته عانى هنري من البدانة المفرطة، وتدهورت صحته، وقد كانت نظرة العامة إليه أنه ملك شهواني وقاس وأناني وغير مأمون الجانب.

في الأول مارس عام 1521 ولجت شابة في سن العشرين عام إلى بلاط ملكة بريطانيا وقتها كاثرين أراجون سليلة العائلات الملكية الفرنسية والإسبانية، وأصغر طفل لفرديناند وإيزابيلا ملكي إسبانيا، لتصبح وصيفة مفضلة للملكة.

كانت تلك بداية القصة التاريخية المعروفة، إذ أنه بعد 12 عامًا من ذلك الحدث طلَّق الملك زوجته، وأصبحت تلك الفتاة المدعوة بآن بولين ملكة لبريطانيا، وانفصلت الكنيسة الإنجليزية عن الكنسية الكاثوليكية، وأصبح ملك بريطانيا رئيسًا للكنيسة الجديدة بدلًا من بابا الفاتيكان.

وجدير بالذكر أنه ما كان ليحدث أيٌّ من هذا لو لم تلج تلك الشابة ذلك البلاط في ذلك الوقت.

لم تكن بولين غاية في الجمال، إلا أنها كانت تتصف بخصال لعلها أشد تأثيرًا من الجمال نفسه، وهي الجاذبية الأنثوية والذكاء والثقافة الواسعة، وكانت متمكنة في حسن الحديث ساحرة فيه، وتمرَّست في شئون الموسيقى والأدب والشعر والرقص.

وما هي إلا فترة وجيزة حتى أسرت قلب الملك فكثرت لقاءاتهما وكانت المرأة المفضلة لديه وشريكته في الرقص في المآدب الرسمية والملكية، وحاول هنري أن يجعلها عشيقة ولكنها أبت، قد جذب هذا الرفض هنري لآن أكثر وأكثر، فسعى في طلبها بلا هوادة، وفي النهاية رأت آن بولين فرصتها في شغف هنري بها، وعقدت العزم على أنها ستخضع لرغباته إذا ما اعترف بها كملكة. وسرعان ما استحوذت على تفكير الملك ليفسخ زواجه من كاثرين، قائلة له: أكون ملكة أو لا تحظى مني بشيء.

إلا أنه كان هناك عائق كبير يحول دون تحقيق ذلك، وذلك أنه متزوج أخت ملك فرنسا، ولا يمكنه أن يطلقها حسب المذهب

الكاثوليكي، وهو مذهب الكنيسة التي يتبعها هو وعائلته، فطلب من البابا أن يمنحه إعفاء بابويًّا يفسخ بموجبه زواجه منها ليتزوج آن بولين، وحاول أن يقنع البابا أن زواجه من كاثرين غير شرعي حسب بعض التعاليم الإنجيلية؛ لأنها قبل زواجه منها كانت زوجة لأخيه قبل وفاته لمده 4 أشهر.

ولأن أخ الملكة كاترين كان وقتها ملك إسبانيا وإمبراطور روما المقدس، وذا سلطة وقوة ونفوذ على الكنيسة الكاثوليكية وكان البابا يخاف منه كثيرًا، فقد رفض البابا تلبية طلب هنري هذا.

فما كان من هنري الثامن إلا أن أعلن انفصال الكنيسة الإنجليزية عن الكاثوليكية، وغيَّر مذهبه إلى البروتستانتية، وأصبح بمقتضى ذلك رئيسا لتلك الكنيسة الجديدة، وبموجب السلطة المخولة له أعطى نفسه الحق في طلاق كاثرين والزواج من آن بولين.

وأصبح هنري بعد زواجه هذا سعيدًا، وتغير الكثير من سلوكه الفظ القاسي، وأظهر أمامها الكثير من الضعف، فأمسكت آن بولين بخيوط كثيرة في أروقة السلطة في بريطانيا.

وسرعان ما انقلب عليها الملك هنري الثامن وطلقها، وحكم بإعدامها بواسطة المقصلة، بعدما تم اتهامها بالخيانة العظمى وتدبير مؤامرة للانقلاب على هنري الثامن، والزنا مع خمسة أشخاص، وحتى أنها اتهمت بزنا المحارم مع أخيها جورج بولين، وبعد محاكمة قصيرة حُكم عليها بالإعدام بقطع عنقها بالمقصلة.

والغريب والملفت للنظر أنه في آخر كلمة لها قبل إعدامها مباشرةً لم تتحدث عن براءتها، بل قالت مادحة هنري الثامن: "ليس بوسعي أن أجد أميرًا أكثر رأفة منه، فقد كان على الدوام دمث الأخلاق لطيفًا

رقيقًا معي، وكنت دومًا أعتبره سيدًا لي"، في مشهد ألهب حماس الكتاب وأصبح من كلاسيكيات الأعمال الأدبية التاريخية الرومانسية.

في الحرب على الرغم من انتصاراته، كان هناك شيء أقوى يضفي على نابليون الحزن العميق، ألا وهو فراق حبيبته، وكان يكتب لها أروع الخطابات، ورسائله كانت أعظم رسائل الحب، ولقد بلغ عددها 33 ألف رسالة.

نابليون وجوزفين

صراع الحب والسلطة

نابليون ذلك القائد السياسي والإمبراطور الذي قاد أعظم المعارك، القائد ذو الذكاء الخارق والطموح الجامح، فمن يقرأ عن القصص والحروب الشرسة التي قادها وصرعاته العسكرية السياسية، لا يخطر بباله أن نابليون من أعظم عشاق الدنيا وأنبل فرسان الحب، وسطر أجمل رسائل الحب إلى عشيقته، حتى ولو كان في جبهة القتال وسط أصوات المدافع، وله في العشق صولات وجولات.

ولكن تعد قصة الحب الأشهر والزواج الأطول مدة والأكثر إثارة هي قصته مع جوزفين، تلك المرأة التي تزوجها في سن السادسة والعشرين، وكانت تكبره بستة أعوام، ولها من الولد اثنان ويقال واحد فقط.

وقد اختلفت الرويات عن بداية علاقة نابليون بجوزفين، فإحداها تقول إنه عرفها عن طريق أحد أصدقائه ولها طفلة، ورواية أخرى تقول إنها أم لطفلين، ذهب أحدهما ليطلب من نابليون الاحتفاظ بسيف والده الذي أُعدم بعد عمليات الشغب، وعندما عاد يحكي لأمه عن حسن تعامل نابليون معه قررت أن تدعوه على العشاء، وتقدم له الشكر، ومنذ تلك الزيارة لم تنقطع ولقاءاتهما المتوالية ولم تقل، ومع مرور الوقت هام نابليون شغفًا بها وكذلك هي، وظل هذا الحب يتصاعد مع مرور الوقت ولا ينطفئ أبدًا.

وتقول أخرى أنه زواج مصلحة؛ إذ تزوج من جوزفين التي تكبره سنًّا وتفوقه شهرة، والأهم من ذلك أنها كانت امرأة ثرية، بشكل تقليدي طمعًا في نفوذها ومالها.

لم تكن جوزفين شديدة الجمال، ولكن كانت تمتلك الجاذبية الهادئة.. وصوت عذب وجميل.

ولقد تزوجا في عام 1796م، وامتلكته بميزان غير عادل من امرأة تملك كل مقومات الحب، وأعطته لنابليون الذي لم يعرفه من قبل، وغير نابليون اسمها من روز إلى جوزفين كما كان يحلو له مناداتها، وبعد يوم واحد فقط من زواجهما سافر نابليون لاستلام جيشه في إيطاليا، وربما كان يعلم مسبقًا، فقرر الزواج ولو لساعات بحبيبته جوزفين.

وفي الحرب على رغم انتصاراته كان هناك شي أقوى يضفى على نابليون الحزن العميق، ألا وهو فراق حبيبته، وكان يكتب لها أروع الخطابات، ورسائله (أعظم راسائل الحب) بلغ عددها 33 ألف رسالة.

يبعث لها ويشكو لها حاله وما وصل إليه من الشوق:

"لم أمضِ يومًا واحدًا دون أن أحبكِ، ولا ليلة واحدة دون أن أعانق طيفكِ، وما شربت كوبًا من الشاي دون أن ألعن العظمة والطموح اللذين اضطراني إلى أن أكون بعيدًا عنكِ وعن روحكِ الوثّابة، التي أذاقتني عذوبة الحياة، إن اليوم الذي تقولين فيه إن حبكِ لي قد نقص، هو اليوم الذي يكون خاتمة حياتي".

وفي رسالة أخرى منه إلى معشوقته جوزفين استرسل في وصف حبه وولهه الشديد فقال:

"وحدها عزيزتي جوزفين تقبع في قلبي، تحتل روحي، تشغل تفكيري. إذا كنت قد ابتعدت عنك بسرعة جريان نهر الرون، فلكي أعود بسرعة لأراك، إذا كنت أستيقظ ليلًا لأعمل، فلكي أستعجل عودتي لرفيقة عمري الرقيقة".

وكان نابليون بونابرت إذا فرغ من الكتابة مسح ريشته في كم سترته.

وفي مقابل ذلك كانت جوزفين مشغولة بالحفلات وحياة الترف بباريس، وتوهَّمت دور البطلة وزوجة نابليون القائد، وبدأ محاولاته الحنونة أن تأتي إليه دون جدوى، فأمرها بالسفر حيث هو بإيطاليا.

وعند عودتها إلى باريس بعد هذه الرحلة استُقبلت بحفاوة لم تعهدها امرأة بفرنسا، وتوِّجا إمبراطورًا وإمبراطورة لفرنسا.

ثم دخل الغرور والزهو إلى قلبها فأصبحت تبالغ في شراء أزياءها وأثاث المنزل وتدفع أموالًا طائلة للحفلات، ولم يكن يعترض نابليون على ذلك، وكان يكفيه منها أنها تلك المرأة التى يعشقها ولن يرفض لها طلبًا.

وفي عام 1798 م قام نابليون بحملته على مصر، وودَّع جوزفين مرة أخرى، وبعدها تلقى نابليون خطابًا من أخيه جوزيف يخبره فيه أن جوزفين وقعت في حب شاب وسيم وتنفق أمواله ببذخ عليه، كانت تلك أكبر صدمة تلقَّاها نابليون في غربته، ويروون أنه عندما أتاه الخطاب ضحك بسخرية وقال: "لقد تحطمت سعادتي".. فلقد كان يرى جوزفين سعادته الأبدية.

ورغم ما حققه من نصر ومركز، وفي هذا الحال المزري، كان يتخبط نابليون عاطفيًّا، فقد كسرته جوزفين، وفي تلك الأثناء عرف زوجة ضابط في الجيش تدعى مارغريت، وكانت ترتدي قلادة تحمل صورته وتهتم به، توهَّم أنها ضماد لجرحه العميق.

رجع نابليون إلى فرنسا فجأة، وكانت جوزفين خارج المنزل، وقد أحاط به الأهل والأصدقاء وقدموا له عرضًا مفصلًا حول سوء سلوك جوزفين واستهتارها، وتمادوا في ذلك وربما أكثر مما يحتمل.

وعندما قدمت جوزفين علمت بغضب نابليون وطلبت منه العفو والسماح وتوسلت إليه، ولأن جوزفين كانت تعني له الكثير وحبها يفوق كل هفواتها، سامحها، إلا أن جرحه من خيانة جوزفين لم يندمل،

عبثًا حاول الهروب من آلامه، فتعددت علاقاته مع نساء المجتمع والممثلات، خاصة أن جوزفين لم تنجب له الوريث الذي سيرث عرش إمبراطورية أبيه.

وفي تعدد علاقاته وجد من الكونتيسة البولندية ماري الزوجة وأم لابنه، فانفصل من أجلها بشكل نهائي عن جوزفين، ولكن بقيت هي الحب الأول والأخير الذي علق بقلبه.

كان وقع الطلاق على نفس جوزفين له أثر قوي جدًا، فعندما علمت به سقطت مغشيًّا عليها، ثم رحلت بعد أيام لمكان بعيد، وعندما كثر أعداء نابليون وبدأت إمبراطوريته تسقط، ودَّع زوجتة وابنه عام 1814م ولم يرهما بعد ذلك أبدًا.

أثناء ذلك علم نابليون بمرض جوزفين بالدفتيريا ومن ثم وفاتها، فذهب إلى باريس محاولًا استعادة سلطته وليزور منزل جوزفين ويلقي على روحها نظرة الوداع، وانخرط في البكاء المرير.

ورحل إلى المنفى بعدها إلى جزيرة سانت هيلينا حيث مات بسرطان المعدة. وقد قيل إنه اغتيل عن طريق طلاء جدران غرفته بالزرنيخ، فتسبب ذلك له بقرحة معدية لازمته حتى وفاته، ولذلك كان غالبًا ما يضع يده داخل سترته فوق معدته، رحل بعد جوزفين وحيدًا.. بعدها لا يملأ مكانها في حياته أحد.

الملكة فكتوريا والأمير ألبرت

عشق في ويندسور

تبارت الأقلام تكتب عن قصة الملكة التي ظلت في حالة حداد على موت زوجها لمدة 40 عامًا، وصارت قصتها محط اهتمام الصحف والقائمين على صناعة السينما لتخليد قصة حب دامت حتى بعد وفاة الزوج 40 عامًا، بل لقد ظهر كتاب مؤخرًا اسمه "زوج الملكة فكتوريا"، تناول أسرار ذلك الحب الحقيقي من الملكة فكتوريا لزوجها ألبرت.

ويشير الكتاب إلى أن ذلك الحب قد دمر حياتها بعد وفاته المفاجئة المبكرة بسبب التيفوئيد وهو لم يتجاوز سن الثانية والأربعين من العمر.

في هذا الكتاب يقتفي المؤلف أثر الكثير من اليوميات والأسرار التي تؤكد صدق هذا الحب، إذ أن الملكة أعلنت بعد وفاته أنه لا توجد قوة إنسانية على الأرض ستجعلها تنحرف عما قرره وتمناه ألبرت، وربما أن فقدان الزوج هو السبب الحقيقي لعزلتها لاحقًا وهيمنة الكآبة على حياتها، إذ بقيت تندبه طوال حياتها وهي متشحة بالسواد.

كانت فيكتوريا ملكة بريطانيا العظمى وإيرلندا وإمبراطورة الهند أيضًا، ولدت في 24 مايو 1819، والدها هو الأمير إدوارد دوق كينت والأم الأميرة ماري لويز، لقد كانت فكتوريا فتاة مفعمة بالحيوية والمرح وتحب الرسم والتصميم، وقد ورثت عرش إنجلترا بعد وفاة عمها الملك وليام الرابع، وكانت فيكتوريا آخر حاكم بريطاني يترك بصماته على الحياة السياسية في البلاد.

وفي عام 1840 تزوجت الأمير ألبرت ابن خالها، الذي أصبح عشيقها وزوجها ومستشارها، ولم تكن تفعل شيئًا دون مشاورته، في البداية لم

يكن يحظى ألبرت بشعبية كبيرة لأنه ألماني الجنسية، ثم بدأ الناس يعجبون بصدقه ودماثة خلقه وإخلاصه للعائلة الحاكمة.

وقد أنجبت فكتوريا من ألبرت تسعة أبناء، أربعة أولاد وخمس بنات،كانت فكتوريا تحب زوجها حبًّا جمًّا وتعتمد على نصيحته في الكثير من شئون الحكم، وروي أنها عندما أتته يومًا تدق باب حجرته، تساءل: "من بالباب"، فأجابت: "الملكة فكتوريا"، فأجابها: "عودي فأنا لا أعرف أي ملكات"، فعادت تطرق بابه مرة أخرى فسألها مرة ثانية: "من بالباب"، فأجابته: "حبيبتك فكتوريا وزوجتك".

لم يثبت صحة تلك الواقعة، ولكنها كتبت في كل الأدبيات التي تناولت قصة عشق فكتوريا وألبرت، وبالتأكيد لم يكن ألبرت يفعل ذلك ليهين الملكة، ولكنه أراد أن يعلمها أن الزوجة في حضرة زوجها يجب أن تنسى خيلاء الملك وغروره، وأكيد أن فيكتوريا استوعبت ذلك ووضح هذا من قولها له: "أنا حبيبتك فيكتوريا"، لم تغضب وتظن بزوجها أنه يغار من كونها ملكة البلاد.

كان فيكتوريا وألبرت قد ارتبطا عندما كانا في سن التاسعة عشرة. وكانت والدة فكتوريا أخت والد ألبرت، دوق إرنست ساكس كوبورج سالفيلد، وكانت هناك ضغوط داخل الأسرة من أجل زواجهما، كانت فكتوريا تقول عنه "آه كم كنت أحبه، كم هو حجم حبه، كيف تفانيت له، وكم كنت أحبه بحماسة"! هكذا كانت تهتف فكتوريا التي أعجبت بعقل ألبرت الذي كان طويل القامة، وشابًّا دقيق المظهر له شعر داكن وعينان زرقاوان دامعتان.

وفي المراحل المبكرة من علاقتهما كتبت فكتوريا في يومياتها: "لقد كان عندي بعض العاطفة التي دفعتني إلى أن ألتقي بألبرت الذي كان

شخصًا جميلًا"، كما تصف في مكان آخر بمذكراتها بعضًا من صفاته الجمالية وفروسيته وقلبه الطيب.

وكانت فيكتوريا توقّع رسائلها لألبرت بـ"فيكتوريا أر"، وبعد ليلة زفافهما كتبت تقول في مذكراتها: "لم أعش مثل تلك الليلة من قبل"!

وبمرور الوقت أصبح لألبرت تأثيرًا ثابتًا على زوجته. وفيما كانت فكتوريا محبة لمتع الحياة كان ألبرت جديًا وملتزمًا، وكان لديه إحساس قوي بالمسئولية، وكان يكره السهر لوقت متأخر من الليل، وفي بعض الأحيان كان ينام في صالة الحفل، ولم يتعامل أبدًا مع أي امرأة أخرى سواها، وعمل بلا كلل لصالح بلد زوجته، وكان من الأشخاص المهتمين بالعلوم والتكنولوجيا والطب والزراعة والفن والموسيقى والدين، وكان مصممًا على أن تكون الأسرة الحاكمة قدوة للبلد بأسره في مجال العمل والحشمة والولاء والتفاني في العمل.

وحين توفي ألبرت عام 1861 أصيبت فكتوريا بإحباط وحزن عميقين، ولم تظهر على العامة لمدة ثلاث سنوات، وفي جنازته وقد وضعت كماشة شعرها على تابوته. وبجانبه وضعت أيضًا قصاصات من الشعر الطويل التي تعود لبناتهما الخمسة. ووضعت في يد الأمير المتوفى، وقبل أن يوضع عليه غطاء التابوت صورة، كانت عبارة عن لوحة لها، وكانت هي الصورة المفضلة لألبرت من بين صور زوجته الأخرى. وكان الزوجان يصفانها باللوحة "الخاصة" لأنها صورة تظهر فيها فكتوريا وهي في سن الرابعة والعشرين واقفة في لقطة جريئة.

وقالت فكتوريا عنه إنه كان زوجها وصديقها المقرب وأباها وأمها، وظلت على حدادها عليه حتى توفيت عام 1901، وطوال 40 عامًا بقيت الملكة فكتوريا وفية لما قرره وتمناه زوجها ألبرت في حياته، وأمرت بعدم إجراء أي تغيير على أيٍّ من غرف ألبرت للمحافظة على

خصوصيتها، بالرغم من ترديد البعض أنها بعده أحبت أحد رجال قصرها وهو السير جون براون، وترددت إشاعات عن حب غامض بينها وبين معلمها الشاب المسلم الهندي عبد الكريم.

ولكن تبقى كل تلك الروايات مجرد إشاعة بجوار ما تفعله فكتوريا بالفعل تعبيرًا عن حزنها لفقد ألبرت، فقد واصلت فكتوريا ذرف دموعها لأشهر وسنوات بعد وفاته، ووصفت بـ"أرملة وندسور"، وظلت تعيش وهي تقاوم فقدانها زوجها لمدة أربعة عقود، وطوال ذلك الوقت ارتدت فقط الملابس السوداء، وفي بعض الأحيان بدا الأمر كما لو أنها مستأنسة بحزنها. وكتبت إلى واحدة من بناتها: "نعم، أنا منذ فترة طويلة أتوق إلى حزني".

وكانت في كل يوم تنثر الزهور البيضاء النضرة والعطور على سرير الأمير ألبرت وتجثو بجانبه لتصلي. كما تضع الكثير من الزهور على مكتبه كل صباح. وتقوم بتجديد الحبر في محبرة قلمه وتضعها بجانبه، ويتم تنظيف ومسح الأريكة التي كان يضع عليها قبعته وقفازيه ومنديله، وعلى طاولته الخاصة بالتزين يتم ملء وعاء الحلاقة بالماء. وقد حفظ جميع خدمه وظائفهم. وكما هو الحال مع جميع من هم حول الملكة، فقد أجبر الخدم على ارتداء الملابس السوداء فقط، وفي الليل اعتادت عند ذهابها إلى النوم أن تمسك ببعض من ملابس النوم الخاصة بألبرت حيث تضع معطفه فوق غطاء سريرها، كما علقت فوق وسادته التي بجانبها صورة الأمير ألبرت ومن ثمَّ في وقت لاحق علقت لوحة تذكارية، وحينما تذهب إلى النوم، كانت كل ليلة تتجه أفكار فكتوريا الأولى نحو الموت.

ولفترة طويلة ظلت الملكة تعتقد أنها سوف تموت من الحزن. وقد وصفت نفسها بأنها عجوز ومحطمة ومنكسرة على الرغم من أنها كانت في الثانية والأربعين من العمر. وكتبت وصيتها وعينت أوصياء على أطفالها التسعة، كما أنها تقلدت بالمجوهرات بما فيها تلك التي كان يضعها ألبرت على شعره.

تشايكوفسكي.. وناجيدا فون ميك

حب.. إيثار.. وشاية.. ونهاية

قصة حب عجيبة تشبه إلى حد كبير قصة جبران ومي زيادة، تبادل تشايكوفسكي وناجيدا 1204 رسالة خلال 14 عامًا؛ ولم يلتقيا سوى مرة واحدة؛ وبشكل خاطف!

رفضت ناجيدا أن يهديها تشايكوفسكي أيًّا من مؤلفاته الموسيقية، وتوقفت عن الكتابة له بعد طلاقه من زوجته، وعرضت عليه التفرغ للإبداع، ومنحته راتبًا شهريًّا جيدًا، ومسكنًا آمنًا، لكن بشرط عدم التقرُّب إليها، وعدم الإعلان عن علاقتهما أبدًا، واعتزال الناس جميعًا.

ولد تشيكوفسكي في عام 1840، وتلقى تعلم الموسيقى على يد مربية فرنسية، وحقق تطورًا سريعًا في تعلم الموسيقى. وكانت هذه المربية تروي له القصص والمغامرات الشيقة، ومنها قصة (جان دارك- عذراء أورليان)، فبقيت هذه القصة في أعماقه حتى استطاع بعد ثلاثين عامًا أن يؤلّف أوبرا باسم (عذراء أورليان)، وعمل على التأليف الموسيقي أثناء تدريسه بمعهد للموسيقى بروسيا.

تزوج من إحدى طالباته في المعهد، وأثار هذا الزواج جدلًا كبيرًا، وانبرى الكثيرون لوضع تفسيرات لحل لغز زواج تشيكوفيسكي من إحدى تلميذاته، فهناك من فسَّر الأمر بأنه سعى من وراء ذلك لتغطية الشائعات التي بدأت تنتشر عن سلوكه الجنسي الشاذ، إلا أن صديقه الحميم الموسيقار (لاروخ) ترك لنا، في كتابه عن تشايكوفسكي، تفاصيل غاية في الدقة والأهمية، تؤكد بأن هذه الفتاة الجميلة التي كانت طالبة في معهد الموسيقى، عشقت تشايكوفسكي، وتقربت منه، إلا أنه لم يكن يدرك مرامها، ثم أخذت تكتب له الرسائل العاطفية التي تبوح فيها بحبها له، ولم يكن هو يجيبها، وأخيرًا كتبت له رسالة

هددت فيها بالانتحار إذا لم يتزوجها، وحينما لم يستجب لها أقدمت فعلا على الانتحار. وبما أن الشائعات كانت قد انتشرت فعلًا عن سلوكه الشاذ، فما كان منه إلا أن تزوج هذه الطالبة شفقة منه عليها، وتغطية لوضعه وسمعته.

كل الذكريات والمذكرات عن تشايكوفسكي تؤكد أنه كان خجولًا جدًّا بشكل غير طبيعي، هادئًا، صموتًا، بل ومرتبكًا، كما كان طيبًا، أصيلًا وشجاعًا في اتخاذ المواقف اللائقة بالإنسان في المواقف والأوضاع واللحظات الحرجة. ويبدو أن هذه الفتاة كانت تعشقه حقًّا، إلا أن هذا الحب، ثم الزواج، كانا كارثة حقيقية على كليهما، فقد عاشا معًا في بيت واحد، لكن دون أية علاقة جسدية.

وقد كشف تشايكوفسكي عن بعض تفاصيل هذا الزواج في رسالة بعثها إلى (ناجيدا فون ميك)، التي كانت تعيش مع نفسها صراعًا آخر، رغم أن هذا الأمر قرَّب تشايكوفسكي منها أكثر!

خلال سنوات تدريسه في المعهد كتب تشايكوفسكي مؤلفات موسيقية مهمة جدًّا، من أبرزها باليه (روميو وجوليت) عن تراجيديا شكسبير الشهيرة. ورغم أن مرتَّبه خلال هذه السنوات قد تضاعف، تصاعدًا مع امتداد سنوات خدمته ونمو شهرته إلا أن متطلبات الحياة العائلية، وتبذير (زوجته) التي كانت مولعة بالمظاهر وضعته في ضائقة مادية، فاضطر إلى إعطاء الدروس الخصوصية.

وقد كان أول اتصال له بصديقة عمره المتبقي، وشريكة حياته الإبداعية، حينما استلم رسالة منها في 18 ديسمبر عام 1876 من السيدة ناجيدا فون ميك، وقد علق هو فيما بعد بأن ذلك اليوم كان أسعد أيام حياته.

وكانت نادجيدا، والتي يعني اسمها بالروسية (الأمل)، كانت أرملة لمهندس سكك حديدية، ألماني الأصل، جاء إلى روسيا للعمل فيها، فمد خطوط سكك الحديد هناك، وجنى من خلال ذلك ثروات طائلة، لكنه مات مخلفًا أحد عشر ابنًا وبنتًا، فتولَّت زوجته إدارة هذه الأملاك والثروات من بعده.

كانت (نادجيدا فون ميك) في الخامسة والأربعين من العمر حينما مات زوجها، وحينما بدأت مراسلاتها مع تشايكوفسكي كانت هذه السيدة روحًا هائمة في الموسيقى. امرأة اعتزلت المجتمع الأرستقراطي، مركزة اهتمامها على تربية أبنائها وإدارة أملاكهم، لكنها وجدت خلاصها في الموسيقى.

وقد كتبت فيما بعد لتشايكوفسكي بأن مؤلفه الموسيقي (العاصفة) مسَّ أعماقها وجعل الدموع تتدفق من مقلتيها. وبالرغم من أن تشايكوفسكي كان شخصية معروفة في المجتمع الثقافي ويمكن الوصول إليه والاتصال به سهلًا، إلا أن الاتصال الشخصي بينهما تم عن طريق أحد تلاميذه الذي كان يعطي الدروس لأحد أبناء السيدة الأرملة.

وكان هذا المعلم الفتى يروي لها عن عزلة أستاذه ووحدته وظروفه المادية الصعبة، فهبَّت السيدة الأرملة لمساعدته، ولكي لا تحرجه وتحرج نفسها، وجدت شكل مناسبًا لهذه المساعدة، وذلك بتكليفه كتابة قطعة موسيقية لأحد أبنائها كي يتدرب عليها، وخصصت له مكافأة مجزية لم يكن يحلم بها، وكان الحوار بينهما يتم عن طريق الرسائل.

وهكذا وجد تشايكوفسكي ونادجيدا السعادة في هذا الشكل من التواصل بينهما، وبعد أن توثقت العلاقة عن طريق الرسائل، عرضت عليه أن يترك وظيفته في المعهد الموسيقي وأن يتفرغ للتأليف

الموسيقي، مقابل راتب مجزٍ تصرفه له شخصيًّا كل شهر، ومسكن يؤمن له الراحة، لكن بشرط ألا يسعى إلى التقرب الشخصي منها، وأن لا يعلن عن علاقتهما وتفاصيلها أبدًا، بل وطلبت منه أن لا يهدي لها أي عمل موسيقي بشكل علني، لكن وفاءه لها لم يمكِّنه من ذلك فقد أهدى الحركة الثانية من السيمفونية الرابعة (إلى صديقة عزيزة)، وكان يقصد (نادجيدا).

ومن أغرب الأشياء التي حدثت في تلك العلاقة، أن العلاقة بينهما انتهت بعد أن طلق هو زوجته الشابة التي لم تطق الحياة معه بهذا الأسلوب، فانطلقت لتروي ظمأها الروحي والجسدي، وتعيش حياتها الخاصة بعيدًا عنه، ربما انتقامًا منه لتجاهلها في حياته، حيث انتهى بها هذا الطريق إلى مستشفى المجانين. وقد كان ذلك قبل ثلاث سنوات من موت تشايكوفسكي.

وقد ظلت أسرار هذه الانفصال المفاجئ موضع بحث من المهتمين بحياة تشايكوفسكي لعقود من الزمان. فبعضهم أرجعها لخسارة السيدة (فون ميك) لأملاكها وثرواتها في البورصة، وهذا ما لمحت إليه في رسائلها الأخيرة إليه، وبعضهم فسر الأمر بانتشار الشائعات عن حياة تشايكوفسكي الخاصة، ما دفعها للحفاظ على سمعتها، لا سيما وأن الأبناء قد كبروا، لكن هذا الأمر غير دقيق، لأنها كتبت له في أولى رسائلها إليه، أنها تعرف كل صغيرة وكبيرة عنه، وتعرف كل ما يذمه الناس به، وما يتناقلونه عنه، وما إلى ذلك.

لكن بعض الوثائق تؤكد بأن زوج ابنتها، الذي كان بمثابة سكرتير لها، وبعض أبنائها، اتفقوا على إعدام هذه العلاقة، وإيقاف المساعدات، بل وساهموا في عدم إيصال الرسائل التي يرسلها هو إليها، وبالعكس، تمزيق الرسائل التي كتبتها له، ولدينا بعض الرسائل التي كتبها هو إليها بينما نفتقد للرسائل التي كتبتها هي كجواب لهذه الرسائل ولم تصل. وقد ظل هو كئيبًا من تلك القطيعة المفاجئة، كما أحست هي بالخيبة من انقطاعه عنها، ظنًّا منها أنه كان يراسلها لأنها

كانت تساعده ماديًّا، وحينما انقطعت المساعدة انقطع عن الكتابة لها.

ورغم غموض نهاية تلك العلاقة وعدم وضع تفسير مرضٍ لسبب نهايتها، فبدايتها كانت جلية واضحة وأسبابها معروفة، فقد جمعهما حب الموسيقى وكره الناس والنفور منهم.

فنجد السيدة ناجيدا في إحدى رسائلها الأولى، قد كتبت لتشايكوفسكي: حينما سمعت موسيقاك لأول مرة، اكتسحتني الرغبة العارمة في أن أتعرف إليك، فأنا لا أفصل الإبداع عن شخصية المبدع، لكن بقدر قوة إعجابي بموسيقاك كان خوفي أيضًا من التعرف إليك.

وكتب هو لها ذات مرة يقول: ثمة مرض ما قد قربنا من بعضنا، هذا المرض هو مرض (الانطواء والنفور من الناس) والناس المصابون بهذا المرض لا يخافون شرور الآخرين، بقدر ما يخافون الخيبة في الآخرين، فهم في حنين إلى المثال الضائع، والذي يحدث في الكثير من الأحيان بعد التقرب من الآخرين.

ويبدو أن هذه الرسائل قد منحت تشايكوفسكي طاقة هائلة على الإبداع، فقدم خلال هذه السنوات أعماله الخالدة، باليهات: بحيرة البجع، الحسك الهش، كسارة البندق، وأوبرات: يفجيني أونيغن، عذراء أورليان، الساحرة، سيدة البستوني، وكذلك أعماله الأوركسترالية والسيمفونيات الرابعة والخامسة ومقطوعة 1812، وهاملت، والكونسيرت التاني والثالث للبيانو، والكونسيرت الأول للكمان، وغيرها من الأعمال الخالدة. وكان قبل ذلك قد أنجز سيمفونياته الثلاث، والكونسيرت الأول للأوركسترا، وباليه (روميو وجوليت)، وكونسيرت (فصول السنة)، وغيرها من الأعمال الموسيقية.

والغريب أن (نادجيدا فون ميك) ماتت بعد ثلاثة أشهر تقريبا من موت تشايكوفسكي، فقد مات هو في 6 نوفمبر 1893، بينما ماتت هي في 13 يناير 1894، بعد ثلاث سنوات من انقطاع الرسائل بينهما، مخلفًا سيمفونية ناقصة هي السيمفونية السادسة. لقد كانت (نادجيدا فون ميك) بالنسبة له مثالًا.. حلمًا.. وقد اعترف هو بذلك قائلا: "إنها مثال الإنسان".

ومهما كانت تفاصيل تلك العلاقة، إلا أنها تبقى من أغرب قصص الحب، بل إنها درس عظيم في الحب، لكل النساء والرجال، ولكل العصور والأزمان، ومثال حي للإيثار والتضحية.

ثنائيات.. الأدب

أوديسيوس وبينيلوبي

زواج.. فراق.. وأمل باللقاء

قليل من الأزواج يفهم معنى التضحية ولكن هذين الزوجين يعدَّان النموذج الأشهر في التضحية، والتي خلدها الشاعر هوميروس في الملحة الأشهر في التاريخ (الإلياذة والأوديسة).

فبعد انفصال استمر لعشرين عامًا، ظلا ينتظران اللقاء ثانية بفارغ الصبر. فقد أبعدت الحروب أوديسيوس عن زوجته بعد وقت قصير من زواجهما.

وعلى الرغم من أنها لم تكن تأمل كثيرًا عودته، رفضت 108 من العرسان تقدموا لخطبتها، وهو كذلك رفض الاقتران بغيرها على الرغم من اضطراره إلى الابتعاد عنها لوقت طويل.

ولما فقدوا الأمل في عودته، وأجبروها على أن تقبل أحد المتقدمين لخطبتها من الأمراء، قالت سأختار ولكن أمهلوني بعض الوقت لأغزل ثوبًا كنت قد بدأت فيه ولم أنهيه بعد، ولما طال الوقت شك الجميع بها فأمروا بمراقبتها ليعلموا سر هذا الثوب الذي لا ينتهي كل تلك السنوات، فوشت بها وصيفتها وقالت إنها تغزل طيلة اليوم حتى يروها تغزل الثوب وتنقض ما غزلته ليلًا، وهكذا صارت لسنوات تصل الليل بالنهار تعمل لتطيل وقت انتظار زوجها وحبيبها أوديسيوس، ولكن بعدما علموا سرها وفضح أمرها لم يكن بد من الإذعان إليهم والموافقة على أحدهم، وفي ذلك اليوم الذي حدد لها لتحسم أمرها به عاد أوديسيوس الزوج الميئوس من عودته لها.

تريستان وأيسولد

ثالوث العشق.. مأساة تتكرر

رويت قصة الحب المأساوية بين تريستان وأيسولد أو (أيزولد) على مر الأجيال وبأشكال مختلفة، تلك القصة التي بالرغم من تفاصيلها القليلة، إلا أن فاجنر الكاتب المسرحي الألماني خلد ذكراها في إحدى مسرحياته، والتي كانت تحمل اسمهما (تريستان وأيسولد).

حدثت القصة في العصر الوسيط أثناء حكم الملك آرثر.

أيسولد كانت ابنة ملك أيرلندا، وتمت خطبتها إلى ملك كورنوول، مارك، الذي أرسل ابن أخته تريستان لمرافقة أيسولد إلى كورنوول، لكنهما وقعا في الحب أثناء الرحلة.

أتمت أيسولد زواجها من مارك، لكنها لم تستطع نسيان حبها لتريستان، واستمرت علاقة الحب هذه بعد الزواج.

وحين علم الملك مارك لاحقًا بأمر هذه العلاقة، سامح أيسولد، لكنه حظر على تريستان دخول كورنوول، فأعياه المرض وأرسل بطلب أيسولد علها يشفيه رؤيتها، لكن أحدهم أبلغه أنها ترفض القدوم إليه فمات كمدًا، وحين وصلت الحبيبة كان الوقت متأخرًا جدًّا!

سليم وأناركيل

هذه قصة يعرفها كل عاشق، فقط وقع سليم والذي سيعرف فيما بعد تاريخيًّا باسم جهانكير ولي عهد الإمبراطور أكبر أشهر ملوك المغول، في حب فتاة رائعة الجمال تدعى أناركيل، لكنها كانت جارية في بلاط الملك، وقال البعض إنها من بنات الهوى، ولم يتقبَّل والده الإمبراطور أن يقترن ابنه بهذه الفتاة، بعدما علم بعلاقتهما من جارية تدعى دالارام، وبذل كل محاولة لتشويه صورة أناركيل في نظر ابنه، ما دفع بالابن لإعلان الحرب على والده، فهزم أمام جيوش الإمبراطورية وحكم عليه بالموت.وحين حاولت أناركيل إنقاذه من الموت قبض عليها تمهيدًا لإعدامها، ثم قام جيش الإمبراطور بدفنها في الإسمنت المسلح أمام ناظري حبيبها وهي حية، قبل أن يقتلوه.

ولكن يبدو من المغالطات التاريخية الواردة بتلك الرواية أن ما تواتر إلينا عن قصة عشق سليم وأناركيل هي القصة الأدبية وليس ما حدث بالفعل.

روميو وجولييت

حب.. غرور.. وموت

ربما تكون تلك القصة هي أشهر قصص الحب في تاريخ الأدب على الاطلاق، فقد أصبح روميو وجولييت أيقونة للحب عبر الزمان، وتمثل قصتهما مأساة أبدع في كتابتها ويليام شكسبير، وربما يظن البعض أن قصة روميو وجولييت ليست بقصة واقعية، ولكن شكسبير كان قد استقى الفكرة من التراجيديا التاريخية روميوس وجوليت (1562)، تلك الملحمة الشعرية الطويلة لآرثر بروك، والتي اعتمدت بالأساس على حكاية فرنسية حدثت بالفعل، واتخذ شكسبير في مسرحيته من مدينة فيرونا مسرحًا لأحداثها، وعلى الرغم من أن شكسبير لم يحدد فترة تاريخية للقصة، ولكنها - كما يبدو - وقعت في الفترة بين 1260 – 1387، حيث كانت فيرونا تتمتع باستقلالها الذاتي ذلك الوقت، فقد كانت إيطاليا في تلك الفترة تسيطر عليها عائلات كبيرة ومعظم تلك العائلات يحمل الكثير منها الضغينة للعائلة الأخرى، وكان من الشائع أن تحتدم معارك عنف وحقد بين الأسر النبيلة مثل مونتيجيو وكابوليت.

خلال هذا الصراع يخرج من صلب العائلتين عاشقان هما روميو من مونتيجيو وجولييت من كابوليت، تبدأ القصة بروميو العاشق لامرأة اسمها روزالين، وكان أفضل أصدقاء روميو هو مركيشيو وهو من أقارب أمير فيرونا، ويعلم روميو بأن هناك حفلة تنكرية لعائلة كابوليت، ويخبره صديقة مركيشيو بأن روزالين مدعوة إليها، فيقرر الذهاب مع صديقيه مركيشيو وبنفوليو، وهناك يقابل جولييت.. الفتاة الجميلة.. ويقع في حبها على الفور.

لقد كان روميو واقعًا بحب الحب وليس بحب روزالين تحديدًا، حتى وجد الحب الحقيقي في جولييت، يتحدث روميو وجولييت مع بعضهما في الحفل ويقعان في الحب، ولكن تعرَّف ابن عم جولييت تيبالت على

روميو من صوته، وأراد أن يتعارك معه، ولكن والد جولييت رفض أن يتعارك مع ضيفه في الحفل، خاصة وأن روميو معروف بنبل أخلاقه، وفي آخر الحفل يعلم الاثنان أنهما من العائلتين المتقاتلتين.

وهكذا جمعهما الحب وغامرا بالارتباط بعلاقة زوجية، وساعدهم في ذلك القس صديق عائلة كابوليت، ولكن يحتدم الصراع بين العائلتين بعد افتضاح أمرهما، وقتل موركيشيو على يد ابن عم جوليت، وبعدما يثأر روميو لمقتل صديقه يعلم أن جولييت قد ماتت، وذهب ليراها في تابوتها، لم يكن يعلم أنها هربت من أهلها الذين قرروا زواجها من باريس، بتعاطي المخدر وادعاء الموت حتى يأتي حبيبها ويهربان معًا، وبعدما يقتل روميو باريس أمام قبر جولييت يتجرَّع السم وينتحر أمامها، وعندما تفيق جولييت من تأثير المخدر تفاجأ بانتحار حبيبها فتأخذ خنجره وتنتحر هي الأخرى ليموتا معًا.

ولم يكن سبب شهرة تلك القصة فقط أن شكسبير خلد من خلالها قصة حب كان موت أبطالها سببًا في نهاية صراع بين عائلتين، فقد كان لتكوينها ومغزاها تأثير عميق على الأدب فيما بعد.. فسابقًا لم يكن يدخل الحب في التراجيديا.

جين إير وإدوارد روشستر

أنثى حانية.. وعاشق متغطرس

كتبت شارلوت برونتي عددًا ليس بالقليل من الروايات، ولكن لم تحظ بالشهرة والاستمرار أي منها مثلما حظيت روايتها التي تحمل اسم "جين إير"، والتي ظلت علامة مميزة في تاريخ الأدب.

نسجت برونتي في تلك الرواية كل المشاعر الإنسانية التي تعلو بالإنسان لتطهره من كل الآثام، لكنها فى أحيان أخرى تهبط به إلى أسفل السافلين، وفيما بين مشاعر الحب والتسامح من جهة، والكراهية والحقد والحسد من جهة أخرى، واجهت بطلة الرواية جين إير الحياة.

تنشأ جين إير يتيمة بين أهل قساة القلب أودعوها ملجأ لرعاية الفتيات اليتيمات، وعندما بلغت جين إير مرحلة الشباب تم تعيينها للتدريس للبنات اليتيمات في نفس الملجأ، لم تستمتع بعملها، بل كانت توَّاقة لاكتشاف العالم الخارجي الذي يحيط بها؛ لذا سعت للعمل لدى إحدى الأسر الغنية لتعليم بناتها.

وكانت مهمة جين هي التدريس لفتاة صغيرة كانت فى البداية تعتقد أنها ابنة مديرة المنزل، لكن سرعان ما تكشفت لها الحقيقة، وهي أن الطفلة ابنة صاحب المنزل السيد إدوارد روشستر.

استطاعت جين أن تروض صاحب القصر قاسي القلب غريب الأطوار، لكن الغموض الذى يحيط بالقصر وصاحبه يزداد، ويظهر فى العديد من الأحداث والحوادث المتتالية والتي تسير بخط متوازٍ مع تطور العلاقة بين جين إير وإدوارد روشيستر، فكانت تسمع أصوات ضحكات شيطانية منبعثة من قبو القصر، وبعدها يقع حادث حريق

فى حجرة روشيستر تنقذه جين منه، وتتصاعد الأحداث بينهما وتتطور العلاقة ليصرح إدوارد بحبه لجين ورغبته فى الزواج منها، لكن هذا الزواج لا يتم لأنه زوج لامرأة مجنونة هي التي كانت وراء كل الحوادث الغامضة التى وقعت بالقصر، فتفر جين بعدها من البلدة التي يعيش فيه.

وبعد سنوات قليلة تشعل الزوجة المجنونة النيران في منزله فتدمره وتموت الزوجة، ويصاب إدوارد بالعمى، وحين تسمع جين بذلك تعود إليه ويعيشان معًا حتى النهاية.

وتعدت برونتي بروايتها تلك أيضًا حاجز الزمن ليس فقط بين الحبيبين جين وإدوارد بل للرواية نفسها التي تبارى العديد من المخرجين في العالم لتجسيدها في أعمال درامية جمعت بين جمال الروح في جين والغموض والإثارة في إدوارد وقصره.

بوكاهونتاس وجون سميث

عالم جديد.. حب وخيانة وتغيير ديانة

إنها قصة الحب الأسطورية الأشهر في التاريخ الأمريكي، ربما لم يعلمها العالم العربي قبل أن يشاهدها في فيلم الرسوم المتحركة باسم (بوكاهونتاس).

بوكاهونتاس كانت أميرة هندية من قبيلة الهنود الحمر السكان الأصليين للولايات المتحدة الأمريكية قبل الاكتشاف الأوربي لها، وهي ابنة بوهاتان زعيم قبيلة الجونجيان الهندية القوية في منطقة فرجينيا، الذي كان يريد أن يزوج ابنته من محارب قوي من الهنود الحمر، ولكن بوكاهانتس لم تكن تعجبها تلك الفكرة.

ويعود تاريخ أحداث تلك القصة للقرن السادس عشر لما كانت بريطانيا العظمى تبني مستعمراتها في أرجاء الأرض باتباع الخرائط التي رسمها لهم الرحالة مكتشفو العالم الجديد.

وفي شهر مايو عام 1607 شاهدت بوكاهونتاس أول الرجال الإنجليز المستعمرين لأرضها للمرة الأولى في حياتها، وفي هذا اليوم تعرفت إلى جون سميث الذي أنقذت بوكاهونتاس حياته من مجموعة من الهنود الحمر، وساعدته وأخذته إلى والدها الذي قرر تبنيه، فبدأت الأيام تنسج خيوط علاقة حب قوية بينهما.

ولكن يتهم جون سميث بقتل هندي أحمر من نفس قبيلة بوكاهانتس ويقررون إعدامه، ولكن في اللحظة الاخيرة تأتي بوكاهونتاس وتكون حاجزًا بين أبيها وبين جون، وفي لحظة يحرر الأب قيود جون ويعلن السلام مع البريطانيين، ولكن قائد البريطانيين يقرر

إطلاق رصاصة على زعيم القبيلة، وتقوم معركة بين الهنود الحمر والبريطانيين يصاب خلالها جون سميث وهو يفتدي بوكاهونتاس.

وحين أصيب جون يتقرر إعادته إلى إنجلترا ليتلقى علاج مناسب، لكن أحدهم أوصل لها أنه قد قتل، لكنها لا تصدق الخبر وتبدأ في البحث عنه في كل مكان.

وبسبب برد الشتاء القارس وقلة المواد الغذائية يصبح وجود البريطانيين في هذا المكان خطر للغاية، فتقوم بوكاهونتاس بإنقاذ حياة الكثيرين منهم في جيمس تاون عن طريق تحذير المستوطنين بالهجوم الهندي، وقامت بتكوين صداقات عديدة مع المستوطنين وسرعان ما أصبحت مصدر ثقة لهم.

وفي عام 1618 عندما كانت تبلغ من العمر 18 عاما تحولت إلى المسيحية، وتم تعميدها وأسموها ريبيكا، وتزوجت من مستوطن آخر في جيمس تاون واسمه جون رولف وأنجبت منه طفلا أسمياهه توماس، ثم قام جون وريبيكا وتوماس بالسفر إلى إنجلترا ومقابلة الديوان الملكي هناك، ثم ماتت ودفنت في إنجلترا.

وكان زواج بوكاهانتوس من جون قبل سفرها لإنجلترا وليس بعدها كما روج في بعض الكتابات الأدبية التي كتبت عن قصة حب بوكاهونتاس وجون سميت، حيث تأتي في تلك الروايات أن بوكاهونتاس بعدما نقل لها خبر وفاة جون سميث لم تصدق ذلك وسافرت تجوب البلاد شرقًا وغربًا بحثًا عن حبيبها المفقود، وبعدما يأست من العثور عليه تعرفت بجون وتزوجته وبقيت معه في إنجلترا، لكن في الحقيقة أنها تعاونت مع المستعمرين واعتنقت ديانتهم وتزوجت منهم وبقيت بجيمس تاون فترة طويلة، ووفاتها بإنجلترا كانت مجرد صدفة؛ إذ توفيت أثناء زيارتها لموطن زوجها وكانوا جميعا ينتوون العودة لفرجينيا مرة أخرى.

الفهرس

المقدمة	5
ثنائيات.. العرب	
عنترة بن شداد وعبلة	11
عفراء وعروة بن حزام	21
قيس وليلى	27
جميل بن معمر وبثينة	35
فقيد ثقيف وامرأة أخيه	41
ولَّادة بنت المستكفي وابن زيدون	45
مي زيادة وجبران خليل جبران	53
ثنائيات.. عالمية	
أورفيوس وإيروديس	65
كليوباترا ومارك أنطونيو	69
ثيادورا وجستنيان الأول	75
لانسيلوت وجوينفير	81
شاه جاهان وممتاز محل	85
إيلوايز وإبيلارد	91
هنري الثامن وآن بولين	95
نابليون وجوزفين	101
الملكة فكتوريا والأمير ألبرت	105
تشايكوفسكي.. وناجيدا فون ميك	109
ثنائيات.. الأدب	

أوديسيوس وبينيلوبى	119
تريستان وأيسولد	120
سليم وأناركيل	121
روميو وجولييت	122
جين إير وإدوارد روشستر	124
بوكاهونتاس وجون سميث	126